التغنى بثنائية الشعر والشاعر فى أعمال عبد اللّه البردونى الشعرية دراسة تحليلية

دكتور

حامد سعد على خضرجى جاويش

أستاذ الأدب والنقد المساعد بكلية الدراسات

الإسلامية والعربية بنين بدسوق

التغني بثنائية الشعر والشاعر فى أعمال عبد الله البردوني الشعرية دراسة تحليلية

حامد سعد على خضرجى جاويش

قسم الأدب والنقد ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدسوق، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: Hamedkhadragy782.el@azhar.edu.eg

الملخص

لقد اتخذ عبد الله البردوني من شعره وسيلة إنسانية، حيث قد جعل منه كائناً حيا ينبض بالحياة، يتحاور معه ويدافع به لا لمجرد وسيلة ترفيهية، ومن ثم فقد انفتح على عوالم شعرية شتى، وسلك بشعره ضروباً وعرة فى الصور والأخيلة؛ فشعره يحتوى على قيم فنية وشعرية عالية من شأنها إبراز الجانب الإنساني .

لقد بدأ البردوني كلاسيكيا محافظاً ثم تأثر بالرومانتيكيين، ومن ثم فقد ظهر لنا هذا الصوت الحزين المفعم بالمشاعر والأحاسيس من خلال نداءاته لشعره ومناجاته، ليطل على العالم من خلال هذه النافذة التى وهبه الله إياها؛ ليكون عوضا عما حرمه الله منه وهو كف البصر .

فالشعر هو الخليل والصاحب فى رحلة البردوني الحياتية، وهو الجليس والمسامر، فحوارت الشاعر مع شعره أبرزت لنا هذه الثنائية الرائعة (ثنائية الشعر والشاعر)، والتى تغنى بها من خلال مضامين شتى فليس الأمر عاديا ، وإنما قصد من ورائه ذلك أن يبرز معانى كثيرة منها الاعتداد بالنفس، وإظهار التجلد والتصبر، والتميز فى موهبته الشعرية .

كما أراد أن يثبت أن جل شعره حبس صدره، وأن ما فى نفسه أضعاف الأضعاف من هذا الشعر، لكنه يقف مع نفسه وشعره ويحاوره ويسامره، فإذا ما جادت به نفسه وقدمه للناس كان فناً وشعراً هادفاً يستحق الخلود، ومن ثم يضمن لنفسه ولشعره المجد والعيش فى قلوب الناس حتى بعد الرحيل .

الكلمات المفتاحية : الشعر – الثنائية – الموهبة – الفن – البردوني – القصيدة والوطن.

Singing the duality of poetry and poet in Abdullah Al-Bardouni's poetic works - an analytical study

Hamed Saad Ali Khodarji Jawish

Department of Literature and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys in Desouk, Al-Azhar University, Egypt.

Email:Hamedkhadragy782.el@azhar.edu.eg

Abstract :

Abdullah Al-Bardouni has taken his poetry as a humanitarian means, as he has made him a living being that pulsates with life, dialogues with him and defends him not just for entertainment, and then he has opened up to various poetic worlds, and his hair has taken rough terrain in pictures and imagination;

Al-Baradouni began as a conservative classicist and then was influenced by the Romantics, and then this sad voice full of feelings and sensations appeared to us through his calls for his poetry and monologues, to overlook the world through this window that God gave him;

Poetry is Hebron and companion in the journey of Bardouni life, a sitter and nails, dialogue poet with his poetry highlighted to us this wonderful duality (dual poetry and poet), which sung through various contents is not normal, but intended behind it to highlight many meanings, including self-esteem, and show glaciation and patience, and excellence in his poetic talent.

He also wanted to prove that most of his hair locked up his chest, and that what is in himself fold times this hair, but he stands with himself and his hair and dialogues and forgives him, if he gave himself and presented to people

was art and poetry purposeful deserves immortality, and then guarantees himself and his poetry glory and live in the hearts of people even after leaving.

Keywords : Poetry - duality - talent - art - Al-Baradouni - the poem and the homeland.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وهو أعلم بما توسوس به نفسه وهو أقرب إليه من حبل الوريد، والصلاة والسلام على خير الأنام، ومصباح الظلام، ومفتاح دار السلام، وخاتم المرسلين، ورحمة الله للعالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

لقد كان الشعر يشغل حيزاً كبيراً من حياة العربى وذلك منذ القدم؛ لذا كان محط أنظارهم وجل اهتمامهم، أخلصوا له حتى غدا عند بعضهم كيانا مستقلا، وخلقا حيا يجارى ويبارى، ويحدثه الشاعر ويدافع به لا لمجرد أن يدفع عنه وعن قضاياه.

والشاعر اليمنى عبد الله البردوني هو أحد هؤلاء الشعراء الذين أخلصوا لإبداعاتهم حتى غدا كل اهتمامه، منحه الله بصيرة عوضا عن فقد بصره، وحباه موهبة شعرية فذة؛ ولهذا فقد جذب انتباهي عمق شعره، وعذب ألحانه، ورقة أساليبه، وجودة عباراته ـ وإن كان قد خرج بها عن المألوف فى بعض الأحيان ـ ويعد نتاجه الشعرى أرضا خصبة لممارسات نقدية عديدة يمكنها أن تثمر نتائج جديدة ومتنوعة، ولقد سبقني إلى دراسته العديد من الدارسين منهم طه أحمد إسماعيل فى أطروحته للدكتوراه التى عنون لها: بـ(البردوني شاعرا وأديبا)،(رسالة دكتوراه بالقاهرة)، والباحث السوري وليد مشوح قدم لنا دراسة بعنوان: (الصورة في شعر عبد الله البردوني)، وأيضا ناجح جميل العراقي أجرى دراسة بعنوان: (البردوني والمقالح شاعران

مختلفان) ولم يتح لي قراءة هذه الأبحاث لأن معظمها كتب خارج القطر المصرى وقد أشير إليها فى المقدمة[1]، وأيضا تأثير كف البصر على خيال الشاعر اليمنى المكفوف عبد الله البردوني وهو بحث منشور فى مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية جامعة بابل العدد التاسع والثلاثون الصادر فى حزيران ٢٠١٨م، وقد أتيحت لي قراءته وليس فيه إشارة إلى موضوع بحثي هذا، حيث قد ركزت دراستي على جانب من جوانب إبداعات البردوني الشعرية وجعلت عنوان هذه الدراسة(التغني بثنائية الشعر والشاعر فى أعمال عبد الله البردوني الشعرية دراسة تحليلية)، وهذه الدراسة من شأنها أن تلقى الضوء على بعض جوانب النفس الإنسانية؛ حيث إن وجع الشعر وما يثيره فى النفس الشاعرة يعد رمزا للمثقف وما يعانيه فى الواقع، فحينما تكمم الأفواه وتقيد حرية الإبداع فإن الشعر يكون هو المتنفس لما يجيش فى النفس وخاصة حينما يدرك الشاعر قيمته ودوره التنويري الإصلاحي فى بناء المجتمع.

وقد تطلبت الدراسة المنهج التحليلي النقدي؛ حيث تناولت النصوص بالتحليل والنقد، وذلك للتعرف على كوامن الشاعر النفسية التي اكتنفته حال التغني بتلك الثنائية.

فعقدت العزم وسألت الله العون فهو نعم المولى ونعم النصير.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة.

(١)راجع مقدمة الأعمال الكاملة:١ / ٢٨.

أما المقدمة فقد بينت فيها دافع اختياري لهذا البحث، ثم أوضحت أهميته في مجال الدراسات الأدبية، والتخطيط الذي احتواه.

وفي التمهيد: أشرت إلى الشاعر عبد الله البردوني، ومكانته الاجتماعية، والتأطير لثنائية الشعر والشاعر التى شغلت حيزا من شعر البردوني.

وجاء الفصل الأول: ليتحدث عن موضوعات التغني بثنائية الشعر والشاعر.

ثم تناولت في الفصل الثاني: الخصائص الفنية للتغني بثنائية الشعر والشاعر فى أعمال البردوني الشعرية .

وتأتي الخاتمة لتحتوى على أهم النتائج التي أسفرت عنها الدراسة.

تمهيد:

كان الشعر – ولا يزال– له سطوته على النفس البشرية، وهيمنته على القلوب؛ فهو ديوانهم الذى يسجلون فيه أيامهم، ويتغنون من خلاله بأفراحهم وأتراحهم، ويتخذون منه وسيلة تعبيرية ذات وظيفة جمالية، لكنها قد تكون موقوفة على حاكم لنيل عطاياه، وقد يتوجهون بها إلى وصف مشهد ومناجاة محبوب.

لكننا وجدنا من الشعراء المعاصرين من وجه هذه الوظيفة نحو مخاطبة الشعب والكشف عن همومه وأوجاعه، وتناولوا قضاياه الاجتماعية والقومية، متحدثين عنها إما تصريحا أو تعريضا.

ومن الشعراء المعاصرين من رأوا أن مجال الشعر أعمق من هذا؛ إذ إنه ليس مجرد أداة أو وسيلة ينقلون به إبداعاتهم وخلجات أنفسهم، أو يدافعون به عن أوطانهم وبني جلدتهم، بل ينظرون إليه على أنه كائن حي له ما للأحياء، فهو يشعر كما يشعرون، وينطق لهم كلما استنطقوه، ويجعلون منه المدافع عما يهمهم من قضايا وأحداث، وهذا لا يتأتى إلا لشعراء قلائل ممن رق طبعهم وعلا ذوقهم ورهف حسهم، وبخاصة ممن حباهم الله نعمة البصيرة عندما فقدوا البصر، فاستبطنوا الأشياء وعاشوا دواخلها، ومن هؤلاء الشعراء عبد الله البردوني[1] فكان يقدر الأشياء ويدرك

(١) عبد الله بن صالح بن عبد الله بن حسن البردوني، شاعر يمنى، ولد فى الثلاثين من أغسطس عام ١٩٢٩م فى قرية البردون التى إليها ينتمي، أصيب بالجدري كما أصيب العديد من سكان اليمن؛ ليفقد بصره على إثر هذه الإصابة وهو فى الخامسة من عمره، اهتمت أسرته بتعليمه، ومن ثم فقد حفظ القرآن الكريم منذ نعومة أظفاره، وذلك فى كتاب =

بذهنه بواطن نفسه مما يعينه على تكوين صوره، التى برع فى بنائها، مما جعل المبصرين يعيدون النظر والتأمل فيها مرات ومرات.

ومن يتصفح دواوين البردوني يجده مسالما عاش فى أمان وسلام نفس، فهو ليس بالشاعر الثائر الغاضب والحانق، على الرغم من قسوة الحياة التى عاشها، والعثرات التى تعرض لها، لقد بلغ من تسامحه وسلامه النفسي أن أنفق الجائزة التى حصل عليها فى نشر دواوينه رغم احتياجه إلى المال؛ وذلك تيسيرا على بنى وطنه ليتمكنوا من الحصول على نتاجه دون تكلف(١).

=

القرية، ثم انتقل إلى دار العلوم ليتم تعليمه، ثم عين مدرسا للأدب العربى شعرا ونثرا فى المدرسة ذاتها، وله اثنا عشر ديوانا مطبوعاً، وهى: من أرض بلقيس، فى طريق الفجر، مدينة بغداد، لعيني أم بلقيس، السفر إلى الأيام الخضر، وجوه دخانية فى مرايا الليل، زمان بلا نوعية، ترجمة رملية لأعراس الغبار، كائنات الشوق الآخر، رواغ المصابيح، جوَّاب العصور، رجعة الحكيم ابن زيد، هذا غير الدراسات الأدبية والنقدية: كرحلة فى الشعر اليمنى قديمه وحديثه، وقضايا يمنية، وفنون الأدب الشعبى فى اليمن، اليمن الجمهوري، الثقافة الشعبية.. تجارب وأقاويل يمنية، الثقافة والثورة، من أول قصيدة إلى آخر طلقة.. دراسة فى شعر الزبيري وحياته، أشتات، ومنها تحت الطبع: رحلة ابن من شاب قرناها، والعشق على مرافئ القمر، نال العديد من الجوائز والتكريمات الدولية، وهى خمس جوائز، أولها: جائزة أبى تمام بالموصل وكانت عام ١٩٧١م، وآخرها: جائزة سلطان العويس بالإمارات عام ١٩٩٣م..... راجع مقدمة الأعمال الكاملة – لعبد الله البردوني، المجلد الأول –مكتبة الإرشاد اليمن صنعاء ط٤– ٢٠٠٩م: ٧– ٢٩.

(١)راجع مقدمة الأعمال الكاملة:١ / ١٥.

لقد حرص البردوني على تجويد شعره وإتقانه؛ لأنه هو كل شيء فى حياته، فهو الركن الشديد الذى يأوي إليه، والعين التى يبصر بها، والنافذة التى يطل منها على العالم من حوله، وهو السلاح الذى يذب به عن وطنه وقوميته،وهو الجليس الذى يأنس به، والصديق الذى يبثه شكايته، فالشعر لدية ليس " مجرد تراكيب أسلوبية نبحث فى بنيتها اللغوية عن مواطن الجمال ولذة الإبداع، وإنما هو موقف نفسى يكشف عن أوجاع الإنسان وأزمانه الوجودية، وبوح يحمل انفعالاته المتباينة وانطباعاته المتداخلة تجاه الحياة، وهو بذلك– أى الشعر – يستوعب أحاسيس الشاعر وكأنه الرفيق الذى يستكين إليه فى ضعفه، ويؤازر قوته، ويسايره فى مناجاته" [1].

وقد تسبب فقد البصر عند البردوني منذ صغره، فى ضبابية المشاهد، إذ لم يكن قد أدرك الصور الخارجية والمشاهد حينها حتى ينقلها، هذا فضلا عن سياسة تكميم الأفواه التى عاشتها اليمن فى تلك الفترة؛ ومن ثم وجدنا البردوني يتردد بين المألوف وغير المألوف، والمباشر وغير المباشر، ونراه فارساً قد تحير فى حلبة الشعر بين الغناء والبكاء، وبين الحزن والفرح، يميل إلى الرومانسية رغم أنه بدأ كلاسيكيا محافظا.

لقد تلازمت ثنائية الشعر والشاعر فى نتاج البردوني الشعرى فراح يفرغ فى القصيدة تأملاته، ويحلق فى عوالم جديدة، ويخرج من المألوف إلى عالم شكله بعبقريته مستدعيا فيه لغة جديدة، وذلك من خلال ربط القصيدة بالوجود الإنساني وقضاياه الكبرى " كاشفاً بذلك كله عن قدرة الشعر على

(١)إنسانية القصيدة قراءات فى أوجاع الشاعر العربى – د/ عادل نيل – الهيئة المصرية العامة للكتاب عام٢٠١٩ م: ١٠١.

تجاوز وظيفته الإبلاغية للمضامين إلى قدرته على خلق عالمه الخاص الذى يوازى بحضوره عالم الشاعر لتشكيل تلك الثنائية النابضة بالحياة المعبرة عنها، ويكتسب هذا الفن أحد مصادر قيمته الإبداعية" [(١)]وهو" كونه عالما قائما بذاته كاملا ومستقلا"[(٢)].

والبردوني شاعر واسع الاطلاع يملك أدواته النقدية، ولعل هذا ما جعله يدرك أن الشاعر حينما تسمو مشاعره وتتعزز قيم الإبداع فى وجدانه حينئذ يغدو الشعر لديه كيانا مستقلا وخلقا حيا يحاور ويجارى، ويدافع عنه المبدع لا فقط يدافع به[(٣)].

فدائما ما يربط البردوني بينه وبين فنه شعره وشاعريته، فيجعل من الشعر كائنا حيا يحدثه ويتحدث إليه ويدافع عنه ويدفع به ويجعل منه سلاحاً ومنبراً، وصاحبا ونديما، وفيما يلي عرض لأهم المعانى التى تغنى فيها بثنائية الشعر والشاعر:

ثنائية التغني بأوجاع الوطن وبناء الأمجاد:

حب الوطن شعور فطرى يولد مع المرء، فهو نبض حي فى جسده ودم يجرى فى عروقه، وخاصة الشاعر العربى الذى ارتبط بوطنه أشد الارتباط ويرى أن الوطن هو أعز ما يملك؛ لذا يتوجب عليه أن يدافع عنه بكل ما لديه وبكل ما أوتى من قوة.

---

(١)انظر :إنسانية القصيدة قراءات فى أوجاع الشاعر العربى: ١٠٣.

(٢)النقد الشعرى منظورات مقاصده د/ رجاء عيد، منشأة المعارف بالإسكندرية عام ١٩٩٥م: ٦٠

(٣)إنسانية القصيدة قراءات فى أوجاع الشاعر العربى: ١٠٣.

لقد أصبح الوطن فى كيان البردوني وفى كل ذرة من ذرات جسده تماما كالشعر الذى يخالط روحه وسويداء قلبه؛ فصار حبه لهذا الوطن شعرا يتغنى به فى الدفاع عن قضاياه، بل يعد أقوى سلاح يدافع به عنه؛ فنراه يقول فى قصيدته (من أرض بلقيس): (من البسيط)

ها أنت فى كل ذراتى وملء دمى ... شعر تعنقده الذكرى وتعتصر

وأنت فى حضن هذا الشعر فاتنة ... تطل منه، وحينا فيه تستتر

وحسب شاعرها منها، إذا احتجبت ... عن اللقا أنه يهوى ويدكر

وأنها فى مآقي شعره حلم ... وأنها فى دجاه اللهو والسمر[1]

كثيراً ما ارتبط الشعر عند البردوني بالوطن مسخرا إياه فى سبيل خدمته والدفاع عن قضاياه، وهنا يحس الشاعر بأهميته كشاعر وأهمية شعره كفن له أثره، وسلطته الأدبية فى إصلاح المجتمع، ويتنامى هذا الشعور حتى يصبح الشعر لديه كائنا حيا ينبض بحب هذا الوطن، ويصير – أى الشعر – كالمحب الذى يحتضن محبوبته الشاهقة الجمال إلى صدره، تطل على العالم من خلاله حينا، وتحتجب فيه حينا آخر، وحينما تحتجب يصبح البردوني لا يساوى شيئا ويذهب فى طي النسيان، فلا قيمة له دون وطن عاش فى كيانه، لقد أصبحت اليمن فى عين شعره الحلم، وفى ليله السمير والجليس، وكيف لا وقد صارت القصيدة لدية مصدر إسعاد له لتعلقها بالوطن؛ فيقول فى القصيدة السابقة ذاتها: (من البسيط)

(١)الأعمال الكاملة: ١/ ٧٥.

مـن خـاطر الـيمن الخضـر ومهجتهـا هــذى الأغاريــد والأصــداء والفكــر

هـــذا القصـــيد أغانيهـــا ودمعتهـــا وســـحرها وصـــباها الأغيـــد النضـــر

يكـاد مـن طـول مـا غـنى خمائلهـا يفـوح مـن كـل حـرف جوهـا العطـر(١)

لقد كانت اليمن مصدر إلهامات شاعرها البردوني؛ فراح يدبج أفضل القصائد فى ذكرها، ومن كثرة ما تغنى بها أضحت القصيدة حية تنبض بحبها، وصارت حروفها تفوح عطرا وشذا تحاك جوها العطر، فالقصيدة وحدها لا تحفل بوطنه بل كل حرف من حروف قصيدته يحفل بذلك الوطن، ويفوح بمظاهر هذا الاحتفال وفى ذلك مالا يخفى من الأصالة والعراقة وحب الشاعر لأصوله العربية، فالحروف التى تتكون منها القصيدة رمز دال على تلك العروبة والأصالة، فالأبجدية العربية لها رونقها وقداستها بين الأبجديات الأخر، بل كل حرف من حروف قصائده صار ينافح ويدافع عـن وطنـه؛ فيقـول فـى قصـيدته (شـاعر ووطنـه فـى الغربـة): (من الخفيف)

زعمـــوني رفعـــت بنـــد التحـــدي واتخـــذت القتـــال بالحـــرف صـــنعة

فلـــيكن، ولأمـــت ثلاثـــين مـــوتا كلمـا خضـت سـتة هـاج تسـعة(٢)

وعنوان القصيدة يوحى باغتصاب الأرض وضياع الوطن فكريا، إذ يلتفت الشاعر فيجد كل شئ فى وطنه قد تغير حاله، فاليمن لم يعد كسابق عهده يحافظ على الأصالة والعراقة إنه الغزو الفكري، إذ تحدثنا الأبيات

(١)الأعمال الكاملة: ٥٧/١.

(٢)الأعمال الكاملة: ٦٦٢/١.

السابقة عن هذا التغير الطارئ، فعناوين الأشياء تغيرت حتى الأسماء العربية الأصيلة قد بدلوها بأخرى أجنبية، وحينما يستنكر الشاعر على بنى وطنه هذا التقليد الأعمى، زعموا أنه قد رفع شعار التحدي ودق طبول الحرب؛ ومن ثم فقد أجابهم فى البيت الثانى مؤكدا على هذا الزعم بقوله (فليكن)، لكن ترى ما هى الأسلحة التى سيستخدمها فى الدفاع عن وطنه؟ إنها الحروف العربية التى يتكون منها شعره، إنها حرب الفكر بالفكر، أخطر حرب خاصة على الأجيال المعاصرة للشاعر، ولهذا فقد انتدب نفسه للدفاع عن وطنه وقوميته، وليرد بنى وطنه إلى حظيرة مجتمعهم الأصيل، وذلك بما يتناسب مع حاله كرجل ضرير، لا يهاب فى سبيل ذلك الموت حتى لو مات ثلاثين مرة.

ومن اعتناء الشاعر بوطنه اعتنائه بشعره، وذلك انطلاقا من شدة اهتمامه بالحروف العربية التى يصوغ منها هذا الشعر الذى يدافع من خلاله عن وطنه وقوميته العربية، إذ نجده يقول فى قصيدته (لعينيك يا موطني): (من المتقارب)

لأني رضـــيع بيـــان وصـــرف أجـوع لحـرف وأقتـات حـرف[1]

فحب البردوني لوطنه وقوميته شيء متأصل فى ذاته شب عليه منذ الصغر، فإنه لا يقبل الضيم ويتحمل المشاق فى سبيل الحفاظ على هويته؛ لأنه لا شأن له ولا ذكر بدونها.

(١)الأعمال الكاملة: ٢/٩٠٧.

فالبردوني خير مثال للعربي الأصيل المحب لبلاده العاشق لها، إذ يهب لنصرتها والزود عن حياضها بكل ما يملك من حطام الدنيا، وإن كان لا يملك منها سوى الشعر، فهو أفضل ما يجود به فيقول : (من المتقارب)

أعنـــــدي لعينـــــك يا مـــــوطني سـوى الحـرف أعطيـه سـكبا وغـرف

أتســـألني كيـــف أعطيـــك شـــعرا وأنـــــت تؤمـــــل دورا وجـــــرف

أصـــوغ قوامـــك مـــن كـــل حســـن وأكســـوك ضـــوءاً ولـــونا وعـــرف[١]

ولهذا كان البردوني صوت الشعب الحر المعبر عن جيل بأكمله يزجى الحروف لوطنه وينسج منها الشعر من أجل عيونه، فالغالي يبذل من أجله الغالي والنفيس، وخير الجود أن يجود الإنسان بالموجود وإن قل وكان غير المأمول، لكن الشعر الذى يبذله الشاعر لوطنه من وجهة نظره كشاعر أفضل من كنوز الدنيا وقصورها؛ لأن الكنوز والقصور سوف تفنى وتذهب مع الأيام ويبقى الشعر يخلد المآثر وينشر الثناء والذكر، فقد روى عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– أنه قال لبعض ولد هرم بن سنان: أنشدني ما قال فيكم زهير، فأنشده، فقال: لقد كان يقول فيكم فيحسن، قال: يا أمير المؤمنين إنا كنا نعطيه فنجزل، قال عمر: ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم[٢].

---

(١)الأعمال الكاملة: ٢/٩٠٧.

(٢)العمدة فى محاسن الشعر وآدابه – لابن رشيق القيرواني – ت/ محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل – الطبعة الخامسة عام: ١٩٨١م: ١/ ٨١.

لقد كان البردوني يعيش معاناة شعبه يعانى مما يعانون منه، حتى أصبحت الحروف التى ينسج منها شعره تشعر بهذا المعاناة وتعايشها؛ فنجده يقول: (من الهزج)

أعندي غير هذا الحرف ينوى كما أنوى، يعانى ما يعانى[1]

وهكذا كان شعر البردوني وقصائده وقوافيه لسان حاله تعبر عما يعانيه الشعب اليمني من حكم الظالمين الذين كانون يكممون الأفواه، ومن ثم فقد عبر عن معاناة الشعب بمعاناة الحرف، وفى هذه الثنائية يدخلنا البردوني إلى معنى جديد وهو الوجع الذى يعانيه الشاعر فى عصره، فمعاناة القصيدة العربية يعنى موت القيم الإنسانية التى كانت رفيقا للشاعر، وأن وجع الشاعر جراء واقعه المعاصر أصبح لا يطاق، ومن ثم تعدى الوجع إلى الحرف الذى يعنى القمع والظلم، فسلام على زمان ولى وكان فيه الشاعر يقاوم بكل ما أوتى من قوة فيقول: (من الهزج)

أتعزفني سيوف من حديد ولا أستل سيفاً من أغاني
وهذا الشعر أخر ما تبقى من الأحباب فى زمن التشاني[2]

فالشعر أمضى سلاح ينافح به أعداء وطنه، سواء أكانوا فى داخله أم فى خارجه، ومن ثم نجده ينكر عليهم سياسة تكميم الأفواه، كيف لا أواجه فكرا بفكر، أنتم تحاربون قومي بكل الأسلحة، وتتكرون على أن أتصدى لكم

(١)الأعمال الكاملة: ١٠٣٤/٢.

(٢)الأعمال الكاملة: ١٠٣٥/٢.

بالشعر، مؤكداً على أن الشعر هو كل ما فى جعبته، فلئن ذهبت أيام العزة والكرامة وذهب كل شيء جميل معها فلا تبقى له سوى ما قاله من شعر جميل فى أولاد وطنه وبني جلدته وقت العزة والرفعة، وهذا حال الكرام الشجعان الذين يأبون الضيم، فيفضلون الموت ويتحملون ألم الجوع عن الانحناء للأعداء الذين يستنزفون ثروات الوطن ويسلبونه مقدراته، ويهنون أولاده ولهذا نراه يقول: (من المتقارب)

لأنى رَضِيعَ بَيَانٍ وصَرْفٍ أجوع لحرف وأقتات حرف[١]

(١)الأعمال الكاملة: ٢/٩٠٧.

التغني بثنائية الروح والجسد :

لقد كان البردوني مثال المحب العاشق الذى يتعبد فى محراب المرأة الواحدة أو الناسك الذى يعكف عليها لا يتعدها لغيرها شأنه شأن العذريين المغرمين، فهو كالراهب فى محراب محبوبته يرتل محاسنها ويهيم عشقا بذكرها، سجل لنا ذلك من خلال موهبته الشعرية الفذة، فهاهو ذا يتذوق حلاوة اسم محبوبته ويتلذذ بذكره حرفاً حرفاً حتى أضحى الشعر لديه هو الذى يهيم بمحبوبته، ويسكر من خمرة حبها، ويتيه هيامًا بها مؤكداً على ذلك فى قصيدته(نار وقلب) فنجده يقول: (من المديد)

كـل حـرف مـن لفظـك الحلـو فـردو س نـــدى وسلســـبيل مسلســـل

كلمـــا اســـتنطقت معانيـــك شـــعري أرعـــد القلـــب بالنشـــيد وجلجـــل[1]

وهكذا كانت حياة الشاعر بين حرفين حرف يعشقه وحرف ينظمه فيما يعشق، حتى صار شعره متيما بهوى محبوبته وحيا يشعر بها، لقد صارت مصدرا لإلهاماته، ومحركا لشاعريته، وباعثا من بواعث شعره؛ إذ كل معانى الحسن التى فى محبوبته تجعل شعره كأنه كائن حي يهتف بأعلى صوته، مفصلا لآيات حسنها وجمالها، والألف والسين والتاء فى عرف اللغويين معلوم أنهم للطلب فى قوله: (استنطقت) والطالب والمطلوب يعقلان، وهو ما أدى إلى ترشيح الاستعارة فى البعد عن كونه مجرد شعر نظمه فى محبوبته.

(١)الأعمال الكاملة: ٦٦/١.

وفى القصيدة ذاتها يصبح الشعر لديه شرابا يحتسى من كثرة ما غنى به محبوبته فيقول: (من المديد)

وأغنيـــك والصـــبابات حـــولي زمــر تحتســي قصــيدي وتنهــل[١]

فبعدما كان يستلهم شاعرنا شعره من محبوبته أصبح هو ملهما وملاذا آمنا للعاشقين من حوله بسب شعره الذى يذوب حلاوة كلما تغنى به فى عشق محبوبته؛ ولذا أصبح شعره مصدراً لإسعاد العاشقين من حوله فصاروا يقصدونه كمورد عذب، وانظر إلى استعمال الشاعر لفعلي (احتسى، ونهل) والأول: يدل على الارتشاف شيئاً فشيئا، والثاني: يدل على الشرب حتى الارتواء، وهكذا صار شعر الشاعر مصدر إسعاد لكل العاشقين الواردين بحر حبه وهيامه، وهذا بلا شك يعكس لنا حبه الطاهر المجرد عن النزوات والشهوات، وبالتالي يُكتب لمثل هذا الحب الخلود، ويصير مثلا يضرب للعاشقين، على مر السنين، ولشدة افتتانه بهوى محبوبه نجده يقول: (من المديد)

وفتــون يهــز شــعري كمــا هــز النســيم البليــل زهــرا مبلــل[٢]

فالحب والغرام لدى البردوني من أسمى المعانى الإنسانية التى تسيطر على المشاعر لا سيما أنه شاعر موهوب مرهف الحس؛ إذ الشعر بالنسبة له مهجة قلبه وثمرة فؤاده، وإنسان عينه، فيرى الوجود كله فى شعره ويرى بشعره كل شيء من حوله، فيتأثر شعره بمفاتن محبوبته ويهتز طربا

(١)الأعمال الكاملة: ٦٧/١.

(٢)الأعمال الكاملة: ٦٧/١.

بجمالها، ونجده يصرح بذلك في قصيدته (منها وإليها) يقول فيها: (من الخفيف)

أنت يا كل من أحب وأهوى ... في حنيني شعر وفي الصمت نجوى

أنت في كل دقة من فؤادي ... نغمات من خمرة الحب نشوى

في ضلوعي إليك شوق وقلب ... شاعر يعزف الصبابات شدوا[1]

لقد صار البردوني متلبسا بأعلى مراتب الحب حيث أصبح كلفا بمحبوبته التى استغرقت عليه كل جوانب حياته[2]، لا يستطيع الفكاك عنها فهي كل ما يحب ويهوى، فبعدما كان الشعر أداة لوصفها وذكر محاسنها أصبحت هى الشعر ذاته، والشعر كل شيء فى حياته، وقلبه صار شاعرا يشدوا الصبابة حبا وشوقا إليها، لقد ظل هكذا هائما حتى أضحى حسنها شاعر فيقول: (من الخفيف)

حسنها شاعر الفنون وحبي ... عبقري يطارح الحسن شجوا

كل شعر غنيته فهو منها ... وإليها والفن يحسوه صفوا[3]

لقد طغى حسن المحبوبة وجمالها على جمال الشعر وفنونه، فكيف للبردونى أن يبذل فيها ما هو دونها، فحسنها أصبح شعرا، وعشقه لهذا الحسن غدا راوية من رواة شعره، فهذه الثنائية توضح مدى عشق الشاعر

---

(١)الأعمال الكاملة: ١/١٢٦.

(٢)الحب العذري عند العرب د/ شوقى ضيف – الدار المصرية اللبنانية –عام ١٩٩٩م: ١٥.

(٣)الأعمال الكاملة: ١/١٢٧.

لمحبوبته، واهتمامه بشعره لأنه مستلهم من حبها؛ ولهذا آثر التعبير بقوله: (فهو منها وإليها).

وكثيراً ما نرى البردوني يهتم بالقيم الروحية والجوانب الإنسانية فى الحب وما يحققه من أهمية فى حياة الفنان، فالحب غذاء للروح وموقد جذوة الشعر، أبرز لنا ذلك من خلال هذه الثنائية التى يقول فيها: (من البسيط)

وكم شدوت بواديه الوريف وكم أفعمت كأس القوافى من معانيه

وكم أهاب بأوتاري وألهمني وكم شربت الأغاني البيض من فيه[(١)]

فحياته كشاعر موهوب يحتفي بالمرأة ويقدس علاقته بها، إذ يراها الملهمة والزاد الذى يتزود منه لشعره مستخدما فى ذلك(كم) التى تدل على الكثرة، ومكرراً إياها أربع مرات فى البيتين السابقين، فليس الأمر عابرا وإنما هو ملازم له فى كل أطوار حياته، فكثيرا ما يملأ كأس شعره من معين حبها، وكم يستلهم المعانى الفياضة والموسيقى الهدارة والأساليب الرقراقة من رقيق كلامها وعبير رحيقها.

إن البردوني ليؤكد لنا من خلال ثنائية الشعر والشاعر على أنه الشاعر الإنسان المحب، إنه شاعر الحب والغرام، يعيش بالحب وللحب، فبالحب ينشد الشعر وللحب ينشده، فيقول: (من الخفيف)

إنني يا حبيبتي شاعر الحب وللحب أغنياتي وفني

يجرح الحب أغنياتي فيصيبها ويبكيني الهوى فأغنى

(١)الأعمال الكاملة: ١/١٢٧.

حـــين يضـــنيني الغـــرام أغنيـــ ـــه وأسمـى الغـرام مـا كـان مضـني[1]

لقد وسم الشاعر نفسه بأنه شاعر الحب ومن ثم فعيون قصائده فى هذا الغرض، والشاعر الذى يكثر التغني بالحب دائما تراه حساسا تؤثر فى مشاعره معانى الحب، والبردوني ظل هكذا حتى رقت قصائده وغدت هى التى تُجْرَح بتلك المعانى، تلك هى أسمى آيات الحب ومعانيه، وكان مردود ذلك عليه كشاعر اعتلاله من أجل الغرام، هكذا توضح لنا هذه الثنائية أن عاطفة الحب أسمى وأرق المعانى الإنسانية، وعلى هذا المنوال نجد البردوني ينساب على هديل (بحر البسيط)ونغمه الحزين المفعم بنار الحب والغرام، تحت جنح الظلام فى الليل الهادي فيقول(تحت الليل):

منك الجمال ومنى اللحن والشادي يا خمرة الحب فى أكواب إنشادي

وحدي أغنيك تحت جنح الظلام جوع الغرام وأشواق الهوى زادي[2]

فحاجة الفنان ليست كحاجة غيره، وجوعه ليس احتياجا إلى الطعام، إذ هو أشد احتياجا للمشاعر والأحاسيس، ومن ثم فزاده الحب والغرام، وأشواق الهوى، ومن هذا المنطلق فلا غرابة أن تصير القوافي لديه بمثابة الإناء الذى يحتسى فيه شراب الحب، أو الأداة التى تسليه فى الليالي الحالكة الظلام.

(١)الأعمال الكاملة: ١٦٩/١.

(٢)الأعمال الكاملة: ١١٤/١.

ومن عادة العاشقين كثرة الإغداق على من يحبون بالعطايا، ولكن البردوني كشاعر موهوب عاشق ليس لدية سوى الشعر يسديه لمحبوبته بدلا من العطايا والهبات فيقول: (من المتقارب)

أنا شـــاعر يا (ابنـــة العـــم) لي ... مـــن الحـــب نبـــع شـــهى غزيـــر

وشـــعر رقيـــق كحلـــم الصـــباح ... علـــى مقـــل اليـــاسمين المطـــير

فحســـبي وحســـبك ديـــوان شـــعر ... وبيـــت صـــغير وحـــب كبـــير

وكـــأس مـــن الشـــوق والـــذكريات ... أغنيـــه مـــن شـــذاك المثـــير[1]

فحسب شاعرنا من دنيا الناس أن الشعر هو رأس ماله وكل ما لديه من هبات وعطايا، وهو قوته وبهائه، ومعلوم أنه قد ابتلى بفقد البصر مع قلة ذات اليد، وكان يهوى ابنة عمه ويهيم شوقا إليها؛ ولهذا نجده بدلا من أن يذكر محاسن نفسه، وما تتطلع إليه النساء من المال الوفير والقصر المشيد، نراه يتحدث عن موهبته وشاعريته، وأن الله قد حباه شعرا لطيفا رقيقا كرقة النسيم فى الصباح، ويفوح شذا وعطرا أنضر من الروض الوسيم، لما فى الشعر من قوة روحية، تسمو بالمشاعر الإنسانية، فحسب عطاياه لمحبوبته ديوان شعر يُغْنِيها عن كل قصور الدنيا وعطاياها.

وتظهر ثنائية الشعر والشاعر جلية فى قصيدته التى جاءت بعنوان (من هواها) إذ يرى شعره أزهارا تنبت فى بستان محبوبته فيسارع إلى اقتطافها فيقول: (من الخفيف)

من صباها جنيت أزهارا شعري== ... واقتطفـت اللحـون مـن وجنتيهـا[1]

(١)الأعمال الكاملة: ٣١٨/١.

بل يرى الحب الذى جمع بينهما يتحول إلى شاعر حالم بلذة الوصال الذى لا فكاك له، فالحبيب والمحبوب أصبحا بمثابة الدم الذى يجرى فى عروق الهوى بعد أن تجسد لأهله فيقول:

حبنـــــا شـــــاعر علـــــى ربـــــوة الخلـــــد يحلـــــم

لا انفصـــــــــال فإننـــــــــا فى عـــــــروق الهـــــوى دم[٢]

فالبردوني مذهبه العذرية يقدس الروح، ويأبى شعره إلا أن يلبى حاجة الجسد؛ فيذكر كل معانى الحب الطاهر العفيف، ويصف المحاسن ولكن من غير فحش ولا خدش للحياء، ومن ثم نجد الشاعر يصبه اليأس، وتضيق به الدنيا، وتتحجر الكلمات فى فمه، ويخيم الصمت على شعره حينما يفقد الحب ودفئ المشاعر؛ ولذا نجده يقول فى قصيدته(الحب القتيل): (من البسيط)

قد حطم اليأس مزمار الهوى بفمي وقيد الصمت فى صوتي أغانيه

إن الغرام الذى كنت أنشده أغاني الروح قد أصبحت أرثيه

ويلي وويلي على الحب القتيل ويا لهفي على عهده الماضي وآتيه

ما ضرني لو حملت الحب ملتهبا يميت قلبي كما يهوى ويحييه [٣]

=

(١)الأعمال الكاملة: ١/١٢٣.

(٢)ديوان البردونى: ١/١٦٤.

(٣)الأعمال الكاملة: ١/١٦٥.

التغني بثنائية الانكسار والكبرياء :

ولعل ما قد أصاب البردوني فى صغره من فقد للبصر، وافتقار ذات اليد، مع نبوغه وإشراق موهبته، ما جعله كثير الشكوى والتبرم بالحياة، وهنا تظهر ثنائية الشعر والشاعر، فيرى الشعر إنسانا يخاطبه ويبثه شكواه، فيقول: (من المديد)

أبث الشعر آلام الهوى وأنادي الليل والصمت يجيب
فإلى من أنفث الشكوى إلى أي سمع أبعث اللحن الكئيب
وإلى من أشتكى الحب إلى من إلى من إنني وحدي غريب
هاهنا ياليل وحدي والجوى بين أضلاعي لهيب في لهيب[١]

فالشاعر لايرى أحداً أحق بشكواه ونجواه إلا الشعر فيتخذ منه خليلا يشكو إليه تباريح الهوى، فلا أحد أحق بشكواه منه، وهذا يحمل مضامين عديدة، إذ الشعر رأس ماله، هو عمره، هو ماضيه وحاضره ومستقبله، هو كل شيء بالنسبة له، لأنه إن لم ينفس عن نفسه من خلال شعره فكيف؟ كما يعكس الكبرياء والاعتداد بالنفس، حتى إذا وجد نفسه غريبا وحيدا قد انفض الناس من حوله، فسوف يجد شعره يسامره ويجالسه، وكثيرا ما نرى الشاعر يشكو الوحدة والغربة، فإن استعرضنا ديوانه وجدنا هذا التعبير يغلب عليه (إنني وحدي غريب)(أنا وحدي)، لقد نام كل الوجود من حوله، ورقد السمار إلا نديمه– الشعر– يبثه الشكوى والآلام: (من الكامل)

أغفى الوجود ونام سمار الدجى إلا أنا والشعر والأشواق[١]

(١)الأعمال الكاملة: ١٤١/١.

معلوم أن المهموم لا ينام؛ فالشاعر مثقل بالهموم مترع بها لا يقترب النوم من أجفانه، ظل يكابد الليل وتؤرقه الأشواق، ولم ير جليسا غير الشعر يشكو إليه همه، فارتباط الشعر بأوجاع الإنسانية أمر موجود فى قاموس المبدعين منذ القدم يدل على أنفتهم واعتزازهم بأنفسهم، وأنهم ليسوا وحدهم بما حباهم الله من إبداع، وشعر يجدون فيه الأنس والسلوة.

وفى قصيدته (أنا الغريب) ما تبزره ثنائية الشعر والشاعر فى استنكار البردوني لأي فساد يحدث فى وطنه، فلا أقسى على الإنسان من معاناته وشعوره بالغربة وهو بين أهله، فيقول: (من الخفيف)

وانطوت فى فمي الأغاني وماتت ... نغمي فى حناجر الأوتار

وتلاشى شعري ونام شعوري ... نومة الليل فوق صمت القفار

وتفانى فني ولم يبق إلا ... ذكريات الصدى بشجو ادكار

وخيال النحيب فى دعوى البا ... كي وطيف النشيج فى أسراري[٢]

إننا نرى البردوني يعبر عن غربته الحقيقية، وأنه مسجون داخل نفسه، لقد أصبح يبدى التذمر بكل شيء من حوله لما يعايش من أزمات على المستوى الشخصي والوطني والقومي، الأمر الذى أصابه بالعي والصمت فى الوقت الذى يجب فيه أن يكون لسان قومه المعبر عن آلامهم وآمالهم، فحينما تتعثر الكلمات فى فمه، وتموت الألحان، ويصمت الشعر، وينام الشعور، ويفنى الفن الذى يعبر به الشاعر عن حاله وينفث عما فى

=

(١)الأعمال الكاملة: ١٤٣/١.

(٢)الأعمال الكاملة: ١٥٨/١.

خلجات نفسه، وما يضيق به صدره، حتما تضيق الدنيا بالإنسان ويصبح سجين ذاته رغم الفضاء الفسيح، إنه شعور بالاغتراب فى غياب عالمه المثالي الحالم الذى تفتقد إليه ذاته الاجتماعية، وذاته الإنسانية، فنوم الشعر وصمت الكلمات، واختناق العبارات علامة على فساد الضمير، وضياع الحقوق، مما يؤثر سلبا على الشاعر الغريد الذى تعود الجلجلة بأعلى صوته مدافعا عن الحقوق والحريات بشعره الذى يعد أقوى سلاح يدافع به عن عرضه ووطنه، وقومه وقوميته.

لم يتوقف البردوني عن الحد الذى يجعل من الشعر مسامرا وخليلا يشكو إليه همومه، بل يرى الشعر مجروحا مكلوما، يشكو الهموم والآلام فيقول فى قصيدته التى عنون لها (بهموم الشعر): (من الكامل)

ونشـــائداً جرحـــى اللحـــون كأنهـــا ... مـــن رقـــة الشـــكوى قلـــوب يتـــامى
يا شـــاعر الآلام كـــم تـــدمي وكـــم ... تبكـــي وتحتمـــل الهمـــوم جســـاما
خفـف عليـك، وعـش بقلبـك وحـده ... واســـأل نهـــاك لم البكـــا؟ وعـــلام؟
وأربأ بنفســـك فهـــي أسمـــى غايـــة ... مـــن أن تـــذوب صـــبابة وغرامـــا
كـــم همـــت بالآلام تشـــدو باسمـــا ... وعلـــى الأنـــين تـــدلل الآلامـــا
بلـواك يا ابـن الشـعر فجـر شـاعر ... يهـــدي إليـــك الـــوحي والإلهامـــا
وبكـــاك تـــرنيم الخلـــود إذا اشـــتكى ... غـــنى الحيـــاة ورقـــص الأيامـــا
فى قلبـــك الهمـــوم ألـــف خميلـــة ... تلـــد الهمـــوم أزاهـــرا وخزامـــى
جلـــت همـــوم الشـــعر إن دموعهـــا ... فـــن يـــدير مـــن الـــدموع مـــداما[١]

(١)الأعمال الكاملة: ١/١٧٤.

فحينما يعبر الشاعر عن الجروح العميقة التى أصابت قصائده، ويصف نفسه بشاعر الآلام، ويرى الشعر مهموما، فهذا إن دل فإنما يدل على أن الهم قد بلغ مداه فى نفس الشاعر، كما يدل على عمق الجروح، وشدة الأزمات التى تجاوزت شكواه إلى شكوى الشعر، فأصبح الشعر يشكو الهموم والأحزان لا الشاعر، ولا يخفى ما فى هذا من تضامن الشعر مع شاعره.

وفى إطار شكوى البردوني الفقر والسخرية من حاله التى يرثى لها نجده يقول: (من الكامل المجزوء)

ماذا وجدت سوى الفرا غ وهرة تشتم فارة
ولهاث صعلوك الحرو ف يصوغ من دمه العبارة
يطفئ التوقد باللظى ينسي المرارة بالمرارة
لم يبق فى كوب الأسى شيئا حساه إلى القرارة (١)

فالتبرم بالحياة وشكوى الفقر كثير ما يظهر فى شعر البردوني، لكنه فى هذه الثنائية هو أكثر عمقا فى شكواه، حيث يحكى مداهمة أحد اللصوص منزله المتوضع، فيقول له مستنكرا ماذا وجدت فى منزلي سوى الفقر والبؤس وسوء الحال، وشاعر يلهث من شدة الفقر لكنه صاحب مبدأ، يوحى بذلك تعبيره (ولهاث صعلوك الحروف)، كما توحي بذلك عبارته (يصوغ من دمه العبارة) فهو يبذل قصائده من بين اللحم والدم، لا يجد عطاءً وتشجيعاً من أحد، ومع ذلك فهو معتز بشعره لأنه كل ما يملك، بل

(١)الأعمال الكاملة: ٤٨٩/١.

الشعر يمثل له الحياة، حيث يصوغه من(دمه)والدم يعنى الحياة، وقريب من هذا المعنى يقول: (من الخفيف)

مـــن أنا شـــاعر حريـــق يغـــنى وغنـــائي دمـــي دخـــان دخـــاني

فحيـــاتي ســـر الحيـــاة وشـــدوي لحـــن ألحانهـــا، معـــاني المعـــاني

وضـــياعي ســـياحة العطـــر فى الريـــ ـــح، وتيهـــي مـــزارع مـــن أغـــاني[١]

التغني بثنائية الذات والموهبة:

لقد كان البردوني كثير الحديث عن الموهبة التى حباه الله بها ومنحه إياها وهي الشعر، فلا حياة له بدونه، ومن هنا تظهر ثنائية الشعر والشاعر فى غضون تغنيه بهذه الموهبة؛ فيرى الشعر إنسانا يعيش فى كنفه، ويطل منه على معان إنسانية وفضائل من شأنها أن تكتب له الخلود:

قيثـارتى إنـنى ابـن الشـعر انجبـنى للخلـــد، للعبقـــريات الفتيـــات

وللحيـــاة وللـــدنيا ونضـــرتها للحـب للنـور للزُّهْـر الصـبيات[٢]

يؤكد الشاعر على النسب القوى بينه وبين الشعر بأكثر من مؤكد، (إن –ياء المتكلم–واسمية الجملة)، ثم أعاد هذا التأكيد فى جملة أخرى وهي (أنجبني)؛ لقداسة الرابط الذى يربط بينهما، بل إنه يرتبط بقوة البقاء والامتداد الذى يحيا به الأبناء سيرا على خطا الآباء، وإحياء الأمجاد، فالشعر لم ينجبه فقط للحياة، بل أنجبه للخلد والعبقريات أي عبقريات، إنما أنجبه لينشر

(١)الأعمال الكاملة: ٢٥١/١.

(٢)الأعمال الكاملة: ١٠٠/١.

المعاني الإنسانية السامية، النور الحب السلام؛ لذا نرى الشاعر يكتفي بهذا الرباط المقدس الذى أغناه عن كل العالم، فيقول:

وحـدي مـع الشـعر هـزتني عواطفـه فرقصـــت عطفـــه النشـــوان رناتي

وشـــف لى خـــافي الـــدنيا وألهمـــنى سـحر الجمـال وأسـرار الجـلالات[1]

لقد اكتفى كل واحد منهما عن الوجود بالآخر، وانتشيا بما بينهما من ترابط قوى متين، تتعانق من خلاله قيمة الشعر بقيمة الشاعر، حتى أضحى الشعر المعلم الأول للشاعر، فيكشف له ما خفى عنه من أمور الدنيا، ومن قيم الجمال والجلال أسرارا تكتب له الخلود على مر الدهور والعصور، ولما كان الأمر كذلك وهب الشاعر حياته للشعر فقال: (من البسيط)

وهبـت للشـعر إحساسـي وعـاطفتي وذكـــــــرياتي وترنيمـــــــي وأناتي

فهـو ابتسـامي ودمعـي وهـو تسـليتي وفـــرحتي وهـــو آلامـــي ولـــذاتي

يفـــنى الفنـــا! وأنا والشـــعر أغنيـــة على فـم الخلـد يا رغـم الفـني العـاتي

أحيـا مـع الشـعر يشـدو بي وأنشـده والخلـد غايتـه القصـوى وغـاياتي[2]

وهذا النسب يتعمق معه الوعي بقيمة الترابط الوجداني بين الشعر والشاعر حتى تجاوزا كل ظروف الحياة حلوها ومرها، أفراحها وأتراحها، لذاتها وآلامها، وعلا على كل ما فيها حتى الموت رغم قسوته، فبسب إحساس كل

(١)الأعمال الكاملة: ١٠١/١.

(٢)الأعمال الكاملة: ١٠١/١.

واحد منهما بالآخر واحترام ذات الآخر صار الهدف واحدا والغاية واحدة وهي تخليد كل منهما الآخر.

وفى إطار اهتمام الشاعر بموهبته الشعرية راح يخاطب شعره ويجلى لنا كل المعاني الإنسانية محققا فى ذلك كل أهدافه السامية، فالشعر " من الفنون القليلة التى تعمل على اتساع مساحة الحلم وتعميق إحساسنا ووعينا بإنسانيتنا"(١)، وخير مثال على ذلك قصيدته (شعري) فيقول:

(من الكامل)

غـــرد فأنـــت الحـــب والأحـــلام أنشـــد يصـــفق حولـــك الإعظـــام

يا كـــافرا بالصـــمت والإحجـــام طـــر واهتـــف فـــداك الصـــمت والإحجـــام

واســـبح بآفـــاق الجمـــال وطـــف كمـــا تهـــوى ويهـــوى جـــوه البســـام (٢)

ففي الأبيات السابقة نجده يتحدث إلى شعره الذى أخلص له طيلة حياته فيمنحه الحياة الإنسانية؛ إذ يأمره أن ينشر قيم الحب والخير والوئام، وبهذا يستحوذ على القلوب فينال التقدير والاحترام، كما يأمره أن يبوح بكل ما هو نافع لا يعبأ بأحد في سبيل ذلك، فهو صوت الشعب الحر المعبر عنهم؛ لذا فإنه لا يرتضى الصمت ويأبى الضيم، كما يناشده أن يَسْبَحَ فى آفاق الجمال ناشراً لقيمه التى تسعد الإنسانية جمعاء.

---

(١)الشعر فى حياتنا: فتنة الشعر وغوايته المتجددة، عبد العزيز المقالح، مجلة غيمان، العدد الثانى، فبراير، عام ٢٠٠٧م: صـ ٨.

(٢)الأعمال الكاملة: ١٤٧/١.

وفى إطار أنسنة الشعر والنداءات المتكررة من الشاعر له ما يعلي الثوابت والقيم والمثل العليا، ويبث الأمل وينشر السعادة بين بنى الإنسان نجده يقول فى القصيدة السابقة ذاتها: (من الكامل)

يا شـــعري الفـــواح غـــرد تحفـــل	فيـــك العطـــور وتعبـــق الأنســـام
لـــك مـــن شـــفاه الفجـــر منتـــزه وفي	صـــدر المـــروج مـــراقص وهيـــام
فى كـــل رابيـــة مـــن قلبـــك خفقـــة	وبكـــــل واد حرقـــــة وضـــــرام
ولصـــوتك الحـــاني بأجفـــان الـــربا	غـــزل وفى قلـــب الربيـــع غـــرام
بســـتانك الغـــبرا مســـرحك الفضـــا	فلـــك الوجـــود مســـارح ومقـــام[1]

لم يكتف البردوني بأنسنة الشعر فى ندائه له والتحدث إليه بل تطرق إلى الأبعاد الإنسانية للشعر والشاعر التى ترتكز على ما فيه الخيرية للحياة والإنسان، حيث أراد لشعره أن يكسر كل حواجز الصمت، وأن ينتشر في كل الوجود انتشار النسيم المحمل بالعبير؛ ليكون مصدر فرح وسرور لبني الإنسان، وأداة حماية له وأمان، ينشر الحب ويبعث الأمل فى كل مكان (وهنا تكمن وظيفة الأدب الحيوية والضرورية فى مفهوم النظرية الإنسانية، فهو الوسيلة التى تسخر الإمكانات المؤدية إلى وجود أفضل وعالم أجمل)[2]، وهكذا يصبح كل الوجود شاهداً على قيمة الشعر حينما يكون فى خدمة الإنسان عندئذ يكون الفن هادفاً بما له من رسالة سامية مؤكداً على ذلك فى القصيدة ذاتها، فيقول: (من الكامل)

---

(١)الأعمال الكاملة: ١٤٧/١.

(٢) موسوعة النظرات الأدبية، د. نبيل راغب، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣ م: صـ ٥٩.

شـــعري وأنـــت الفـــن أنـــت رحيقـــه ... شـــفتاك كـــأس واللحـــون مـــدام

حلقـــت فـــوق مســـابح الأوهـــام لم ... تلمـــح خيـــال جناحـــك الأوهـــام

والمـــارد العمـــلاق يكتســـح العـــلا ... فتظـــل تهـــذي خلفـــه الأقـــزام[١]

ومازال حديث الشاعر مستمرا مع شعره رفيق دربه وقسيم حياته الذي عاش الحياة به وعشقها من أجله، مخبرا إياه بأنه الفن بل هو خلاصة الفن، حيث قد توفرت فيه مقومات الإجادة، من عبارة جيدة، وأسلوب رصين، وموسيقى رائعة، وخيال واسع، حتى أصبح يحلق فى أفاق العلا لا يستطيع اللحاق بركابه المتشاعرون؛ لذا فقد كتب لشعره الخلود معربا عن ذلك بقوله:

شـــعري تبنـــاك الخلـــود فأنـــت في ... ربواتـــــه الأنغـــــام والنغـــــام

جســـمت أنفـــاس الشـــذا فترنحـــت ... فيـــك الطيـــوب كأنهـــا أجســـام

وغمســـت قلبـــك فى الحيـــاة وصـــغتها ... لحنـــا صـــداه وصـــوته الإلهـــام

وجلـــوت ألـــوان الطبيعـــة مثلمـــا ... يجلـــو الفتـــاة بفنـــه الرســـام[٢]

ويستمر الشاعر فى تجسيم الشعر ومخاطبته وأنه قد استحق الخلود بما فيه من خيال واسع فى التصوير، ونقله للصورة كما ينقلها المصور والرسام بريشته، واستجلائه لقضايا الحياة وإجادة التعامل معها؛ ومن ثم كان تأكيد اليونانيين والعرب على أن الشعر مهم للحياة ولا يقتصر دوره على التسلية فحسب، بل اعتقدوا اعتقادا جازما بأنه أداة للتخليد، ومن أقدم الشواهد

(١)الأعمال الكاملة: ١٤٨/١.

(٢)الأعمال الكاملة: ١٤٨/١.

على ذلك ما قاله سيدنا عمر بن الخطاب لأولاد هرم بن سنان[1]، ولهذا نرى كل المعانى التى حملها الشعر للحياة قد تجسدت وأظهرت حبها له فقال:

شعرى تناجى الحسن فيه والهوى ... وتناغت الآمال والآلام

وتخاصرت فيه المنى وتعانقت ... فى صدره القبلات والتهيام

فإذا بكى أبكى القلوب وإن شدا ... رقصت ليالى الدهر والأيام

فله وراء المجد أمجاد ومن ... خلف المرام مطامع ومرام

سيظل يشدو كالجداول لا ولم ... ينضب غناه ولم يجف الجام[2]

ويتضح من حديث الشاعر السابق عن موهبته الشعرية أن الشعر هو نبض الحياة؛ لما يغرسه من قيم وفضائل فى الناس، وما ينشر من آمال وأمانى، ومشاركته أفراحهم وأتراحهم، تلك هى رسالة الفن الحق، والشعر الهادف المحقق للأمجاد والمخلد على مر العصور والأزمان.

ولكن خطابات الشاعر لشعره لم تكن بنفس الإيجابية على الدوام، وإنما قد يوجه له العتاب فى بعض الأحيان، وذلك كما جاء فى قصيدته (يا شعر) حيث يقول:

مذ أربعين وأربع ... تقول صمتى وأسمع

أقول نبضك تصغى ... عنى، أناجى وتسمع

تفشى الذى لست أبدى ... أبدى الذى فيك مودع[1]

---

(١) ملامح يونانية فى الأدب العربى، د. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، ط١، ١٩٧٧ م: صـ ١٧٨ – ١٧٩.

(٢)الأعمال الكاملة: ١٤٨/١ – ١٤٩.

وفى الحوار السابق بين الشاعر وشعره ما يبرز هذه الثنائية المتناقضة، التى توضح أن للشعر سلطان على نفس الشاعر فقد يبوح الشعر بما يكون فى مكنون الشاعر الصمت عنه، ويفشى من الأسرار ما يحب الشاعر كتمانه، وما ذلك إلا لخضوع الشاعر وشعره للمؤثرات الخارجية والتى تمثل شخصا آخر بينهما أفصح عنه فى القصيدة ذاتها حينما قال:

كأن فينا سوانا أحن منا وأوجع[٢]

فالشاعر الموهوب دائما ما يعيش فى محنة بسبب موهبته وفنه؛ لأنه إما أن يخلد بخلود شعره وإما أن تذهب ريحه بذهاب شعره مع الأيام، ومن ثم فإنه يجهد نفسه فى سبيل تجويد شعره وإخراج أفضل ما فى جعبته، ومن أجل الحفاظ على هذا التميز فبداخل كل شاعر أمثال ما أخرجه من الشعر، فالشاعر يعيش صراعا نفسيا بسبب فنه، ولهذا حكم الفيلسوف الكندي على أبى تمام قائلا " إن هذا الفتى يموت شابا؛ فقيل له: ومن أين حكمت عليه بذلك؟ فقال: رأيت من الحكمة والذكاء والفطنة مع لطافة الحس وجودة الخاطر ما علمت أن النفس الروحانية تأكل جسده كما يأكل السيف غمده "[٣] ومن يتصفح ديوان البردونى يشعر بأنه كان يشقى فى سبيل بناء

=

(١)الأعمال الكاملة: ٢/١١٧١.

(٢)الأعمال الكاملة: ٢/١١٧١.

(٣) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى، د/ شوقى ضيف –دار المعارف –مصر الطبعة الثانية عشرة: ٢٢٦.

شعره واستنباط معانيه ونجده يعبر عن ذلك أيضا فى قصيدته (محنة الفن) فيقول: (من الخفيف)

(محنـــة الفـــن) محنـــة تتعـــب ال ... فنـــان والخلـــد مـــن معانيـــه يهنـــا
كـــل مـــا بى أودعتـــه الشـــعر لكـــن ... فى ضـــميري شـــعر أنا منـــه مضـــنى
لا تســـلنى يا صـــاحبى أى شـــعرى ... كـــان أعلـــى أو أيـــه كـــان أدنى
أجمـــل الشـــعر نغمـــة لم أوقعهـــا ... وصـــمتى يطـــوى ألـــف معـــنى
فتـــنفس يا صـــمت شـــعرى بمـــا في ... ك لعـــل يا شـــعر أن أطمئنـــا
وتأوه لعـــل آهاتـــك الجـــر ... حـــى تلاقـــى فى ضـــجة الكـــون أذنا
آه يا شـــعر، آه قـــد قيـــد الصمـــ ... ت أغانيـــك فاتخـــذْ منـــه ســـجنا[1]

ويتحدث الشاعر عن جراحه العميقة الناتجة عن جراح قصائده التى طواها الصمت بداخله، وهذا أبلغ تعبير عن انكسارات الشاعر بسبب انطواء قصائده وحشرجتها بصدره رهبة من خروجها إلى النور بسبب تكميم الأفواه، وما عاشه اليمنيون فى تلك الفترة من ظلم وقهر، أو لأنه يجهد نفسه فلا يخرج إلا ما يطمئن إليه من ناحية الجودة، ثم نراه يطلق الآهات والزفرات مناديا على شعره أن يستعد أملا فى خروجه إلى النور ذات يوم وأن يجد له آذانًا مصغية، ويعبر عن هذا الشقاء والمحنة التى عاشها بسبب فنه – أيضا– فى قصيدته (راهب الفن) فيقول: (من مجزوء الخفيف)

شـــــاعر يعـــــزف الشـــــقا ... ويغـــــنى الـــــدجا الأصـــــم
حـــــار فى الحـــــب قلبـــــه ... حـــــيرة الصـــــمت فى القمـــــم

(١)الأعمال الكاملة: ١/١٢٢.

راهـــــب الفـــــن صـــــدره للصـــــــــبابات مـــــــــزدحم
كلمـــــــا كـــــــتم الهـــــــوى فضـــــح الفـــــن مـــــا كـــــتم
كلمـــــــا صـــــــان ســـــــره ضـــــج فى الصـــــدر واحتـــــدم
لم يطـــــق حشـــــمة الجـــــوى مـــــن رأى الشـــــاعر احتشـــــم[١]

فالشاعر الموهوب حقا يعيش بالفعل محنة بسبب موهبته وتقديم فنه؛ لذا فالبردونى فى الأبيات السابقة نراه يبوح ببعض أوجاعه وأزماته، وانفعالاته المكبوته، وذلك بسبب رهبانيته وتقديسه لفنه واحترامه له، على أية حال فإن الشاعر أراد أن يظهر من خلال تغنيه بهذه الثنائية إثبات الذات والاعتداد بالنفس، وكلما أراد أن يكتم أمره ويظهر التجلد والتصبر كشف عن ذلك شعره، كما أراد أن يثبت التفرد في الموهبة، وأن جل شعره حبيس صدره؛ لحرصه على تقديم فن هادف يستحق الخلود، ومن ثم يضمن لنفسه المجد والعيش فى قلوب الناس حتى بعد الرحيل.

التغني بثنائية المديح والمدح:

منذ أن تنفس الإنسان على هذه الأرض ووعى ذاته وما حوله، وأحس بالفوارق المختلفة بينه وبين الآخرين والشعور بمعانى الجمال والجلال، ولد المديح وخلق فن الثناء[٢]، وإن كان قليلاً فى شعر البردونى؛ لأنه شاعر أبى معتز بنفسه، ذو طبيعة خاصة وإحساس مرهف، وعاطفة جياشة؛ لذا أكثر من المدائح النبوية عن غيرها من ألوان المديح؛ لأنها تعبير

(١)ديوان البردونى: ١/١٢٥.

(٢) ينظر: أسس النقد الأدبى عند العرب، د/أحمد أحمد بدوى – دار نهضة مصر – القاهرة الطبعة: ١٧٧.

صادق عن العواطف الدينية، وباب من أبواب الأدب الرفيع؛ لأنها تصدر عن قلب مفعم بالحب الصادق والإخلاص المكين، ومن ثم فقد تجلت لنا ثنائية الشعر والشاعر فى هذه المدائح النبوية التى نظمها البردونى، والتى تظهر من خلالها معانى الجمال والجلال، ومن تلك النماذج قصيدته (يقظة الصحراء) التى ألقها فى حفل مهيب أقامته درا العلوم فى ذكرى ميلاد النبى –صلى الله عليه وسلم –حيث قال:

حـــى مـــيلاد الهـــدى عامـــاً فعامـــا وأمـــلأ الـــدنيا نشـــيداً مســـتهاما

وامـــض يا شـــعر إلى الماضـــى إلى ملتقـــى الـــوحى وذب فيـــه احترامـــا

واحمـــل الـــذكرى إلى الماضـــى كمـــا يحمـــل القلـــب أمانيـــه الجســـاما

هـــات ردد ذكـــريات النـــور فى فنـــك الأسمـــى ولقنهـــا الـــدواما

فـــارتعش يا وتـــر الشـــعر وذب فى كـــؤوس العبقـــريات مـــداما

وتنقـــل حـــول مهـــد المصـــطفى وانشـــد المجـــد أغانيـــك الرخامـــا[1]

ففى الأبيات السابقة نجد البردونى يضفى هالة من الجلال على شعره؛ لارتباطه بميلاد خير البرية – صلى الله عليه وسلم– فيخاطب شعره الذى هو كل ما يملك، ويدفع به –بما يملكه من مقدرة فنية عظيمة– نحو المسير فى عالم الماضى مستلهما تلك الذكرى العطرة، وأن يقف احتراماً فى حضرة قدسية أمام ميلاد النبى العدنان (عليه الصلاة والسلام)، حيث مهبط الوحى وتنزل النور المبين، وأن يحمل كل هذه الذكريات المباركة، وذلك من خلال فنه الذى لا يبارى، وفى ذلك ما لا يخفى من تحقيق للأمجاد، لأنه

(١)الأعمال الكاملة: ٦١/١.

أحيا أمجاداً وعبقريات، ومن ذلك قوله فى مطلع قصيدة فجر النبوة: (من الكامل)

صـــور الجـــلال وزهـــوة الأمجـــاد ســـكبت نمـــير الـــوحى فى إنشـــادى[١]

وتبدو هذه الثنائية فى أفضل تجلياتها حينما نجد البردونى يهدى النبى صلى الله عليه وسلم شعره الذى استلهمه من جلال النبوة وجمالها، فيقول:

يا خـير مـن شـرع الحقـوق وخـير مـن آوى اليتـــيم بأشـــفق الإســـعاد

يا مـــن أتـــى بالســـلم والحســـنى ومـــن حقـــن الـــدماء فى العـــالم الجـــلاد

أهـــدى إليـــك ومنـــك فكـــرة شـــاعر درس الرجـــال فهـــام بالأمجـــاد[٢]

ويهيم شوقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيتخذ من الشعر إنسانا يشعر بمحبة النبى –صلى الله عليه وسلم – ويمجده ويهيم شوقا إلى حضرته فيصلى عليه ويسلم تسليماً كثيراً، ويرى الشاعر ذاته أداة توصيل لهذه الصلاة، فتهيم روحه عشقا وشوقا برفع تلك الصلاة لرسول الله – صلى الله عليه وسلم –وذلك إمعانا ومبالغة فى حبه صلى الله عليه وسلم فيقول:

(طـه)إليك صـلاة الشـعر ترفعهـا روحـــى وتعزفهـــا أوتار قيثـــار[٣]

---

(١)الأعمال الكاملة: ١/١٥٠.

(٢)الأعمال الكاملة: ١/١٥٤.

(٣)ديوان البردونى: ١/٣٣٧.

وأيضا نجده يمدح ولى عهد صنعاء لما عاد مؤزرا بالنصر بعدما أخمد نيران الثورة وحقن الدماء، وكان من ضمن ما غناه وظهرت فيه ثنائية الشعر والشاعر قوله:

غنـــاك شـــعرى والربيـــع وصـــفوه أهـــدى إليـــك زهـــوره والعنـــدما

حيـــاك مـــيلاد الربيـــع بطيبـــة وشـدتك أشـعاري نشـيدا ملهمـا[1]

فالبردونى شديد الاكتراث بنفسه والاعتداد بها؛ لذا نراه مقلا من المدتح كما ذكرت آنفا، والشعر لديه فوق السلطة وفوق الجميع، رغم حبه الشديد لولى العهد وفرحه بمقدمه السعيد المؤزر بالنصر والمعمم بالبشر إلا أنه يرى ولى العهد قد اكتسب المعالى بسبب أنه امتدح بشعره؛ ومن ثم جاءت أنسنة الشعر بهذا المعنى البعيد فى قوله (غناك شعري، وشدتك أشعاري) ثم أضفى عليه بديمومة الاستمرار فى النصر وعلو الشأن بأن جعل الربيع مشتركا مع شعره فى هذا الغناء وهذا الشدو، والربيع يعنى التجدد والنضارة، فحينما يأتي إلى الأرض وقد يبست يعيد إليها خضرتها ونضارتها بإذن الله تعالى، وهكذا عود ولى العهد حينما عاد إلى البلاد فبدل خوفها أمنا وثورتها استقرارا وحقنا للدماء.

التغنى بثنائية الرثاء والتعزية .

الرثاء موقف إنساني متعدد الجوانب والوجوه، فهو ليس مجرد موقف عاطفى سلبى من الناس والحياة، لكنه شعر يصور بدرجة عالية من الصدق جانبا مهما من جوانب النفس الإنسانية، والبردونى مع اهتمامه بهذا الجانب،

(١)الأعمال الكاملة: ١٩٨/١.

إلا أنه كان مقلا فى الرثاء، وكان مبرره لهذه القلة قوله فى قصيدته (مالى صمت عن الرثاء): (من الطويل)

يقولـون مـالى صـمت عـن الـرثاء فقلـت لهـم إن العويـل قبـيح

ومـا الشـعر للحيـاة وإنـنى شـعرت أغـنى مـا شـعرت أنـوح[١]

ولم تظهر ثنائية الشعر والشاعر إلا فى رثائه لأمه حينما قال فيها: (الرمل)

هـا أنا يا أم أرثيـك اليـوم فـتى طـائر الصـيت بعيـد فى الشـهاب

أمـلأ التـاريخ لحنـا وصـدى وتغـنى فى ربى الخلـد ربابى

فـاسمعى يا أم صـوتى وارقصـى مـن وراء القـبر كـالحورا الكعـاب

هـا أنا يا أم أرثيـك وفى شجو هذا الشعر شجوى وانتحابى[٢]

لقد بدأ الشاعر بالحديث عن نفسه كشاعر ذائع الصيت، ملأ الدنيا شعراً، وإنما لجأ إلى هذا الأسلوب استحضارا لصورة الفقيدة واستئناسا بالحديث معها، وتقليصا لشعوره بفقدها فكأنها حية لا تزال تكلمه ويكلمها، ويحاورها وتحاوره، يحدثها عن حاله وما وصل إليه من مكانة بين بنى قومه، خاصة أن أمه قد ماتت وهو صغير السن، ولم يجد البردونى ما يعزيه سوى الشعر الذى يحمل همه ويشاطره أحزانه، ويحي ذكرها بعد موتها، لقد أصبح الشعر ذاته مهموما، وهذا ربما خفف عن الشاعر بعض أحزانه وآلامه، كما تظهر هذه الثنائية فى رثائه لطفل صغير فيقول:

---

(١)الأعمال الكاملة: ١/١٧٦.

(٢)الأعمال الكاملة: ١/١١١.

فهـــاك يا عبـــد العزيـــز الـــرثاء شـــعرا حـــزين الشـــدو والمنشـــد

يبكـــى كمـــا تبكـــى وفى شـــجوه تعزيـــة عـــن طفلـــك الأوحـــد[1]

ففى إطار تعزية البردونى لصديقه عبد العزيز المقالح فى وفاة ابنه الوحيد الذى لاقى ربه، نراه يجسد أعلى مقامات المعانى الإنسانية؛ فيجعل الشعر مشاركا فى العزاء بالحزن والبكاء، وإحياءً لذكرى المرثى بعد مماته .

(١)الأعمال الكاملة: ١/٣١٤.

الخصائص الفنية للتغني بثنائية الشعر والشاعر فى أعمال البردوني الشعرية

المعجم الشعرى:

ومن خلال ما قمنا بتحليله من نماذج شعرية فيما سبق من هذه الدراسة تبين لنا أن ألفاظ البردونى فى مجملها تمتاز بالقوة والفخامة، إذ نراه يسير على خطا الأقدمين من شعراء العربية القدامى، غير أن معجم الشعر يتطور ويتغير بتغير العصر ويتطور بتطوره وخاصة عند شعراء العصر الحديث، وألفاظ الشعر ليست لغة عادية بل هى لغة مكثفة ذات إيحاءات؛ ومن ثم فالنقاد فى العصر الحديث كالدكتور / السعيد الورقى يرى أنها" هيكل التجربة الشعرية الذى تتألف بواسطته دوافع التجربة لدى الشاعر والنتاج المباشر للطريقة التى تنتظم بها نزعاته "[(١)]؛ لذا فمعجم الشاعر يعنى (مجموعة الألفاظ التى تشيع فى قلمه ويستعملها فى التعبير عن أفكاره، والمعروف أن ثروة كل شاعر تختلف عن ثروة غيره كمية ونوعية حسب ثقافة كل منهما والمناهل التى استقيا منها وسائل الإبانة)[(٢)].

والشاعر عبد الله البردونى شاعر وجداني ينطلق من خلال تجربة ذاتية تغنى فيها بثنائية الشعر والشاعر حيث يتصور الشعر فيها شيئا معنويا وماديا؛ ومن ثم فقد جاء معجمه الشعرى الخاص بتلك التجربة مكثفا تكثيفا لفظيا، يبتعد فيه عن السطحية والعامية، والهجين السوقى، والساقط

(١) لغة الشعر العربى الحديث، د/ السعيد الورقى، الهيئة للعامة للكتاب، عام ١٩٧٩م: ٨٧- ٨٨.

(٢) المعجم الأدبى، جبور عبد النور – دار العلم للملايين – بيروت ط١ – عام ١٩٧٩مصر: ٢٥٧.

المبتذل اللهم غير بيت واحد ذكر فيه لفظ غير لائق فقد فيه السيطرة على نفسه حينما كان يجابه المغتصبين لوطنه فقال مخاطبا قوافيه:

أكـــان الصـــمت أجـــدى يا قـــوافي أأرضـى حكـم أولاد الزوانـــى [1]

وهذا غير شائع فى معجمه اللفظى، ويبقى الحكم للأعم الأغلب، وهكذا يبدو لنا البردونى من خلال النماذج التى عرضنا لها فى الجزء الأول من هذا البحث بأنه كان عملاقا يميل إلى الكلاسيكية يقلد القدماء، ويقف طويلا عند أبى تمام ويخترع بعض المفردات والتراكيب الشعرية الحديثة، مما زاده شهرة وجعل له قاعدة جماهيرية عريضة[2]، ومن ذلك على سبيل المثال: (هذا القصيد أغانيها – شعر تعنقده الذكرى – حضن الشعر – مآقى الشعر – امض يا شعر – وتر الشعر – كؤوس العبقريات– سجو لحنى – فلسفة الفن – عزلة الشعر –أغاني الشعر – لفظك الحلو – وتر عاشق– لحن مرتل – يهز شعرى –أرعد القلب بالنشيد – وانتزفت اللحون– ربيع الحب –عروس الشعر – ضفاف الشعر – دنياك للشعر –شاعر يبتكر– شاعر الأزهار – عرائس الألحان – نشيد يستفيض– تغرد فى الربا– فن مترف – طائر الإنشاد – ابن الفن – وتسابق الإنشاد– ينشر اللحن – شاعر الحياة – طبيعته الفن – أم الشعر– ابن الشعر – أنجبنى للخلد – وحدى مع الشعر – وهبت الشعر– أنا والشعر – أحيا مع الشعر –وازدهى الشعر – ينثر النغم – شاعر النيل – روح شاعر – محنة الفن – صمت شعرى – أزهار شعرى – حبنا شاعر – حنينى شعر – جف النشيد –

(١)الأعمال الكاملة: ٢/ ١٠٣٥.

(٢)الأعمال الكاملة: ١/ ٤٦.

حسنها شاعر – أبث الشعر – شعرى الفواح – دنيا الشاعر – عالم الشعر – ابن الشعر – صلاة الشعر – معانيك شعلة – نشيد معطر – صعلوك الحروف – يصوغ من دمه العبارة – القتال بالحرف)، ومن خلال هذا المعجم الشعرى الفريد يتضح لنا أن البردونى يعتد بشعره أيما اعتداد يبثه شكايته وأنينه ونجواه ويدافع به عن وطنه ويعبر به عن حبه، ويمدح به المصطفى –صلى الله عليه وسلم–، وذلك مع المحافظة على لغة الشعر المتوارثة التى تحفظ الهوية العربية شكلا ومضمونا.

فمن النماذج الدالة على الرصانة الذى تتآزر فيه المفردات وتترابط الجمل يقول البردونى لشعره: (من البسيط)

هاتى التآويهَ يا قيثارتى هاتى	ورددى من وراء الليل آهاتى
وترجمى صوت حبى للجمال ففي	نجواك ياحلوة النجوى صباباتى
قيثارتى صوت أعماقى عصرت بها	روحى وأفرغت فى أوتارها ذاتى
قيثارتى أنت أم الشعر لم تلدى	إلا غنا الخلد أو لحن البطولات
أودعت نجواك آيات النبوغ فيا	قيثارتى لقنى التاريخ آياتى
وغردى بخيالاتى العذاب فما	حقيقة السحر إلا من خيالاتى
وشاعر الطبع موسيقى الغيوب إذا	غنى أرى الأرض أسرار السماوات
قيثارتى إنني ابن الشعر أنجبني	للخلد، للعبقريات الفتيات
وللحياة للدنيا ونضرتها	للحب للنور للزهر الصبيات[١]

(١)الأعمال الكاملة: ١/١٠٠ –١٠١.

فى الأبيات السابقة يخرج البردونى فى ألفاظه عن الإطار المألوف والمعتاد من خلال مخاطبته لشعره وحديثه إليه، فيجعله قيثارته ويبثه كل آهاته وزفراته، ويعيش معه بكل وجدانه وعواطفه؛ وذلك من خلال خطابه لشعره بهذه التراكيب (قيثارتى – ياحلوة النجوى– صوت أعماقى –أم الشعر –غنا الخلد– لحن البطولات– نجواك آيات النبوغ– لقنى التاريخ آياتى– وغردى بخيالاتى– ابن الشعر– أنجبني)، هذه الألفاظ والتراكيب تفيض سلاسة وعذوبة، وتدل دلالة واضحة على عمق الشاعر وصدقه فى تجربته، وإن كان قد خرج عن المألوف بخطابه لشعره وهو مما لا يخاطب، وربما تعمد ذلك من خلال تكراره للفظة (قيثارتى) التى يكنى بها عن قصائده وأشعاره بما لا يدع مجالا للشك فى سيطرة التجربة على نفسه وتملكها لفؤاده، كما تدل الألفاظ والتراكيب السابقة على عمق الشاعر واعتزازه بشعره وأنه وسيلة فى إخراج مكنون نفسه، وهو أيضا نافذته على العالم الخارجي، كما يدل دلالة واضحة على ثقافة الشاعر وكثرة مطالعته للشعر الحديث وهو ما أشار إليه مقدم ديوانه.

ومن النماذج الراقية التي برزت فيها ثنائية الشعر والشاعر وتتسم بالقوة والجزالة والرصانة وشدة الأسر ومتانة السبك ما جاء في قصيدته (شعرى) حيث يقول فيها: (من الكامل)

لك من شفاه الفجر منتزه وفى صدر المروج مراقص وهيام

فى كل رابية من قلبك خفقة وبكل واد حرقة وضرام

ولصوتك الحانى بأجفان الربا غزل وفى قلب الربيع غرام

بســـتانك الغـــبرا مســـرحك الفضـــا فلـــك الوجـــود مســـارح ومقـــام[١]

فى الأبيات السابقة يشع الأمل وتنتشر السعادة من خلال الألفاظ التى استعملها الشاعر فى حديثه مع شعره مثل: (الفجر – مروج– مراقص– هيام – صوتك – الحانى – غزل – الربيع – غرام– بستانك– مسرحك– الوجود)، كلها ألفاظ تقطر عذوبة وتنساب رقة، وإن كان وقع فى مخالفة الفصيح فاستعمل لفظ (منتزه)، والصواب(متنزه)، لأن الفعل (انتزه)لم يسمع عن العرب، ولكن الشعراء استعملوها، وكذلك اللغويون كصاحب القاموس؛ لذا فقد أجازها مجمع اللغة المصرى، كما أوردتها المعاجم الحديثة[٢]، وهذا إن دل فإنما يدل على سعة اطلاعه وكثرة ثقافته.

أهم الظواهر الأسلوبية:

خطابه لشعره.

وهو من أهم الأساليب التى انتشرت فى شعر البردونى عند التغنى بثنائية الشعر والشاعر فى أى من المعانى التى عرضنا لها من قبل، حيث نرى البردونى يخاطب شعره وينادى عليه وكأنه حي ينطق يبادله الشعور والأحاسيس، وفي هذا الخطاب إيحاءات ودلالات نفسية تدل على أنه لا عمل له فى الحياة سوى الشعر فهو الصاحب وهو النديم وهو الحبيب وهو السلطان، ومن النماذج الدالة على ذلك قوله: (من المديد)

---

(١)الأعمال الكاملة: ١٤٧/١

(٢) معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربى– تألف: د/ أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م: ١/ ٧٣٠.

حـــى مـــيلاد الهـــدى عامـــا فعـــام وأمـــلأ الـــدنيا نشـــيداً مســـتهاماً
وامـــض يا شـــعر إلى الماضـــى إلى ملتقـــى الـــوحى وذب فيـــه احترامـــاً
واحمـــل الـــذكرى إلى الماضـــى كمـــا يحمـــل القلـــب أمانيـــه الجســـاما
هـــات ردد ذكـــريات النـــور فى فنـــك الأسمـــى ولقنهـــا الـــدواما
فـــارتعش يا وتـــر الشـــعر وذب فى كـــؤوس العبقـــريات مـــداما
وتنقـــل حـــول مهـــد المصـــطفى وانشـــد المجـــد أغانيـــك الرخامـــا[1]

لقد خاطب الشاعر شعره فى الأبيات السابقة بأفعال أمر مختلفة المعانى (حى- أملأ – امض- ذب- احمل – هات – ردد- لقن –ارتعش- تنقل- انشد)ولا يخفى ما فى هذه الأفعال من قرب الشعر لنفسه، وسمو منزلته، وأن الغاية التى استدعاه من أجلها أسمى وأجل، وهى إظهار حب الرسول –صلى الله عليه وسلم- والاحتفاء بمولده العظيم، وذلك فى أبهى صورة تملأ الكون فرحا وسرورا، وغير خاف بأن هذا الأسلوب فيه امتاع للنفوس، ومبالغة فى حبه- صلى الله عليه وسلم –أكثر مما لو جاء الأسلوب مباشرا.

وإيمانا من البردونى بموهبته الشعرية ودورها فى المحافظة على قيم الحياة الجميلة ونشر الخير والفضيلة بين الناس نجده يخاطب شعره قائلا: (من الكامل)

غـــرد فأنـــت الحـــب والأحـــلام أنشـــد يصـــفق حولـــك الإعظـــام
يا كـــافرا بالصـــمت والإحجـــام طـــر واهتـــف فـــداك الصـــمت والإحجـــام

(١)الأعمال الكاملة: ٦١/١.

واسبح بآفاق الجمال وطف كما تهوى ويهوى جوه البسام

يا شعرى الفواح غرد تحفل فيك العطور وتعبق الأنسام[١]

إن قمة الإبداع أن يرى الشاعر لشعره غاية أبعد من كونه وسيلة للتسلية والإمتاع، فيراه مصدرا لكل ما هو جميل فيخاطبه بهذه الأفعال (غرد- أنشد- طر - اهتف - اسبح - طف)التى تدل دلالة واضحة على أن الشاعر يرى نفسه أمام كائن يحاوره وينادمه، بل يرى فيه الحب والوفاء والإخلاص، لا يقف سلطان الشعر لديه عند حد الكلمات والعبارات التى تنشد؛ لذا تخضع نفس المتلقى لسطوة الشعر حينما يعبر عن عوارض النفس البشرية، فيفجر ينابيع الصمت ويطوف بآفاق الكون باحثا عن الجمال والجلال الذى يثيره عبيرا تتنسمه جميع الأنام.

ومن الأساليب الشائعة عند البردونى عند تغنيه بثنائية الشعر والشاعر(الاستفهام)، ومن ذلك على سبيل المثال: (من الكامل)

ماذا يقول الشعر؟ كيف يرنم؟ هتف الجمال، فكيف يشدو ويلهم

ماذا يغنى الشعر؟ كيف يهيم فى هذا الجمال؟ وأين أين يهوم؟

يا سكرة ابن الشعر هذا يومه نغم يبعثره السنا ويلملم

يوم تلاقيه المدارس والمنى سكرى كما لاقى الحبيبة مغرم[٢]

فدائما ما نرى البردونى يحتفى بالعلم فى شعره، ففى هذه المناسبة العظيمة حيث كان اليمنيون يحتفلون بمناسبة افتتاح دار المعلمين فى

(١)الأعمال الكاملة: ١٤٧/١.

(٢)الأعمال الكاملة: ٣٥١/١.

صنعاء، ونراه يكرر الاستفهام لجذب انتباه المتلقى ليلتفت إلى شعره الذى يقول قولته فى هذه المناسبة الميمونة.

ومن استعماله للاستفهام أيضا فى حواره مع شعره حينما كان فى زيارة لأحدى البلدان تدعى الروضة نجده يقول: (من المديد)

بلـــــد تـــــوحى مجاليـــــه إلى مزهـــر الفنـــان أبكـــار المعـــانى
قلـــت للشـــعر وقـــد ســـاجله نغـــم الفـــن وســـحر الافتنـــان
أتـــراه ســـرق الفـــردوس؟ أم هـــو فـــردوس بحضـــن الأرض ثانى[1]

فالبردونى يرى أن المكان له تأثير كبير على الشعر والشاعر، يوحى إليهما زخرفا من القول، وبكراً من المعانى، وقد تحدث الشاعر إلى شعره حينما حدثت مباراة بين الشعر ونغم الفن مستفهما استفهاما تقريريا، ليبرز أن الشعر هو زينة كل شئ يحلق بالإنسان فى أعالي السماء، كما أنه هو الملاذ الآمن فى الأرض، ومن أساليب الاستفهام التى أبرز من خلالها البردونى أهمية الشعر بالنسبة له إذ يقول: (من الخفيف)

آه إنى شـــاعر والشـــعر مـــن محنـــتى! آواهمـــا أشـــقى الأديـــب!
شـــاعر والشـــعر عمـــرى فى غـــد أيـن عمرى أين؟. فى اليوم القريب[2]

والنفى أيضا أحد الأساليب التى أبرز الشاعر من خلالها ثنائية الشعر والشاعر فى قصيدته (شعرى) حيث يقول: (من الكامل)

---

(١)الأعمال الكاملة: ١/١٣٠.

(٢)الأعمال الكاملة: ١/١٤١.

لا، لم يـنم شـعرى، ولم يصـمت ولم تصـــمت علـــى أوتاره الأنغـــام

لم يسـتكن وتـرى ولم يسـكت فمـى فلتخـــرس الأفـــواه والأقـــلام[١]

فأسلوب النفي هنا يبرز يقظة الضمير المتمثلة فى فن الشعر الذى يعبر عن أحوال الناس ويعتني بقضاياهم ويهتم بمشاكلهم، فالبردونى حينما ينفى عن شعره النوم والصمت، يريد إثبات أن ضميره يقظ وصوته فى الحق عالي وإن كممت الأفواه.

سيميائية العناوين:

وإذا ما تتبعنا تلك الثنائية التى هي موضوع البحث فى شعر البردونى، لوجدناه قد أثارها فى أكثر من خمسين قصيدة، ونلحظ على تلك القصائد أن أغلبها قد عمل البردونى إلى وضع عناوين لها تدل دلالة قطعية على ما أراد أن يثيره فى نفس المتلقى من تلك الثنائية، إذ نراها موحية نابضة بمضامينها وأفكارها، فحينما تقرأ هذه العناوين يتهلل لها القارئ ويتعبد فى محرابها ويسرى خلف خيالها، وهو أمر تميزت به القصيدة العربية المعاصرة عما كانت عليه فى السابق من الجاهلية حتى " قبل (شوقي) وجيله حيث كانت القصيدة تتشكل من عدة محاور، تستوعب أكثر من قضية أو موضوع؛ لتكون وفية بذلك لتقاليد عمود الشعر العربى القديم، وليس غريبا والأمر كذلك أن تخلو كثير من قصائد شوقي وجيله من العنوان بل إن الديوان نفسه (الشوقيات) يحمل تسمية تدل على اسم الشاعر لا على شعره، وقد اختلف الحال لدى كل من الشاعر الرومانسي والمعاصر

(١)الأعمال الكاملة: ١٤٩/١.

(الحر)؛ حيث صار العنوان عندهما عنصرا عضويا فاعلا في القصيدة، بل في كل ديوان يصدره على حدة، والشاعر لا يختار العنوان –في قصيدة أو ديوان – اعتباطا أو مصادفة، إنما يتخيره بعد طول تأمل لأعماق وأبعاد التجارب؛ بحيث يأتي العنوان دالاً بشكل واضح – وربما مباشر – على ما أراد أن يستثيره لدى المتلقى"[١].

ومن يدقق النظر فى عناوين هذه القصائد التى جاءت مشتملة على ثنائية الشعر والشاعر يجد عبقرية البردونى حيث جاءت موحية دالة عليها وذلك مثل: (فلسفة الفن)، و(الشاعر)، و (روح شاعر)، و (محنة الفن)، و (راهب الفن)، و (شعرى)، و (هموم شاعر)، و (الربيع والشعر)، (وحدة شاعر)، و(لص فى منزل شاعر)، و(امرأة وشاعر)، و(شاعر ووطنه فى الغربة)، و (القصيدة والوطن).... إلخ.

كما لوحظ على هذه العناوين أنها قد جاءت مستلة من شطر بيت في القصيدة ذاتها، أو دل عليها معنى بيت أو مجموعة أبيات وهو أمر له جذوره " في الشعر القديم، حيث قد وجدنا من يقول مثلا: قصيدة (بانت سعاد)، وقصيدة (بان الخليط)، وقصيدة (صنت نفسى)، وقصيدة (أضحى التنائي).... إلخ وكلها مستلة من أبيات القصائد وأشطارها "[٢].

---

(١)دموع الشعراء على الراحل باكثير بحث مستل من مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق للدكتور مصطفى مطاوع – العدد الخامس عشر – الجزء السابععام ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م: صـ ٧٦.

(٢)دموع الشعراء على الراحل باكثير: صـ ٧٨.

فقصيدته التى بعنوان (فلسفة الفن) مأخوذ من البيت الثالث والعشرين من القصيدة ذاتها القائل فيه: (مجزوء الرمل)

نحن فى فلسفة الفن كنجوى فى صلاة[١]

ولا يخفى ما فى عنوان القصيدة من دلالات وإيحاءات نفسية قد اتكأت عليها القصيدة بأكملها.

وجاءت قصيدته التى عنون لها بقوله (أنا والشعر) مشتملة على هذا العنوان فى البيت قبل الأخير القائل فيه: (البسيط)

يفنى الفناء! وأنا والشعر أغنيه على فم الخلد يا رغم الفنا العاتى[٢]

وعنوان قصيدته (روح شاعر) أشار إليه فى قوله: (الخفيف)

فتلقى يا شاعر النيل شعرى فهو شعر عنوانه (روح شاعر)[٣]

وما عنوان قصيدته (راهب الفن) عن ذلك ببعيد، حيث قد جاء مشتملا على قوله من القصيدة ذاتها: (الخفيف)

راهب الفن صدره للصبابات مزدحم[٤]

---

(١)الأعمال الكاملة: ٦٥/١.

(٢)الأعمال الكاملة: ١٠١/١.

(٣)الأعمال الكاملة: ١٠٧/١.

(٤)الأعمال الكاملة: ١٢٥/١.

وهذا الصنيع أيضا غير خاف فى قصيدته التى عنون لها بقوله (محنة الفن) جاءت القصيدة مشتملة على هذا العنوان بقوله فى القصيدة ذاتها: (الخفيف)

محنـــة الفـــن محنـــة تتعـــب ال فنـــان والخلـــد معانيـــه يهنـــا[1]

الصورة الشعرية:

إن من أهم ما يميز لغة الشعر عن غيرها الخيال الواسع والتهويل فى رسم الصورة إذ الحقيقة لغة العقل، والخيال لغة المشاعر، ومن ثم فالصورة هى "لغة الأديب التلقائية، والوسيط الأساسي الذى يكتشف به الشاعر أبعاد تجربته، ويتفهمها، ويمنحها المعنى والنظام والمغزى بكل ما يتطلبه ذلك من تدفق الخيال وفاعليته وثرائه " [2].

هذا وقد أصبح الشعراء فى العصر الحديث يطرقون مجالات أكثر رحابة وأوسع خيالا من ذى قبل فى تشكيل صورهم الشعرية، وكان ذلك بلا أدنى شك من تأثير النزعة الرومانتيكية على كثير من الشعراء المحدثين فى نسج صورهم، حيث حاولوا مزج الخيال بتجاربهم الذاتية، وذلك ما عبر عنه بـ (الاستغراق الرومانسي فى الصور الخيالية كما انتهت إليه القصيدة

(١)الأعمال الكاملة: ١/١٢٢.

(٢)الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغى – د / جابر عصفور، طبعة دار المعارف: ١٤٠.

العربية الرومانتيكية، وهذا ما جعل الشاعر العربى الجديد يستخدم مفردات صورته كإشارات انفعالية تختزن فى داخلها تجارب ومواقف متعددة)[١].

والبردونى من بين هؤلاء الشعراء استطاع أن يرسم عالمه الشعرى الخاص به؛ وذلك لتأثره بالرومانتيكية – وإن كان قد بدأ كلاسيكيا – من جهة ولأنه كان كفيف البصر من جهة أخرى، وكان لذلك تأثير كبير على كيفية تفاعله مع العالم المحيط الخارجي حيث كان يكتشف ما حوله عن طريق حاستي السمع واللمس، مما أدى ذلك إلى خلق صور جديدة رائعة كانت أكثر إجادة وعمقا فى توصيل المعنى، وخاصة فى هذا الجانب الذى أبرزه هذا البحث، فلننظر إلى هذه الصورة من خلال تغنيه بثنائية الوطن والأمجاد حينما يتحدث عن وطنه اليمن: (من البسيط)

هـا أنـت فى كـل ذراتـى ومـلء دمـى شـــعر تعنقـــده الـــذكرى وتعتصـــر

وأنـت فى حضـن هـذا الشـعر فاتنـة تطـل منـه، وحينـا فيـه تسـتتر[٢]

فحينما يجعل من الشعر إنسانا يحتضن اليمن تارة يظهر جمالها وتارة تستتر فيه، فالمعنى أعمق وأبعد من مجرد حديث شاعر عن وطنه، إنما هو العشق لهذا الوطن الذى يمثل كل ذرة فى جسده بل هو دمه الذى لا يحيى إلا به مؤكدا على ذلك فى البيت الأول، أضف إلى ذلك تكراره للمسند إليه (أنت)ما يدعم إلحاح هذا الأمر على نفسية الشاعر.

---

(١) لغة الشعر العربى الحديث: ١٥١.

(٢)الأعمال الكاملة: ١٢٢/١.

وفى إطار تصوير الشاعر لغربته النفسية التى ضاق بها ذرعا حيث عبر عن ذلك بهذا التصوير البارع فى قوله: (من الخفيف)

وانطوت فى فمى الأغانى وماتت نغمى فى حناجر الأوتار
وتلاشى شعرى ونام شعورى نومة الليل فوق صمت القفار
وتفانى فنى ولم يبق إلا ذكريات الصدى بشجو ادكار[1]

فحينما يحدث للكلمات انطواء فى فم الشاعر وتموت الأغانى، وينام الشعر، ويفنى الفن ويتلاشى فالمعنى أبعد من شكوى لغربة تعرض لها الشاعر؛ عندئذ لابد أن يموت الإنسان كمدا؛ لأنه فقد التنفيس عن نفسه، فالشاعر اعتاد أن يتخذ من الشعر صديقا يبثه آلامه وشكواه فنراه يصور ذلك فى قوله:

وأبث الشعر آلام الهوى وأنادى الليل والصمت يجيب
فإلى من أنفث الشكوى؟ إلى أى سمع أبعث اللحن الكئيب؟
وإلى من أشتكى الحب إلى من إلى من؟ إنني وحدى غريب
هاهنا ياليل وحدى والجوى بين أضلاعى لهيب فى لهيب

فحينما يفقد الشاعر المتنفس الوحيد وهو البوح من خلال شعره الذى لا حيلة له سواه، فإنه بلا شك فى غربة حقيقة وإن كان يعيش بين أهله وبنى جلدته؛ ولهذا نجده يؤكد على وحدته وغربته بقوله: (إننى وحدى غريب)، ومن الصور الرائعة التى يصور فيه الشعر ويسامره حيث يقول:

---

(١)الأعمال الكاملة: ١٥٨/١.

أغفـى الوجـود ونام سمـار الـدجى إلا أنا والشـــعر والأشـــواق[١]

وما أجمل صوره المبتكرة التى فيها يتخذ من شعره سلاحا يدافع به عن وطنه، فنجده يقول فى قصيدة (شاعر ووطنه فى الغربة):

زعمـونى رفعـت بنـد التحـدى واتخـذت القتـال بالحـرف صـنعة[٢]

فالأمر أعمق من تجسيم المعنويات، فالتحدي لا يكون بفرض القوة، وإظهار السطوة، والذود عن الأوطان لا يكون بالسلاح فحسب، وإنما يكون بالفكر والعلم، والتمسك بالهوية التى ينتمي إليها الإنسان كإنسان.

ومن الصور الجميلة التى تعبر عن حب البردونى لوطنه قوله:

وأنهـا فى مـآقى شـعره حلـم وأنهـا فى دجـاه اللهـو والسـمر[٣]

حيث شبه الشعر بالإنسان وحذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه وهى المآقى، ولا يخفى ما فى ذلك من إبراز لحب الشاعر لوطنه الذى وضعه فى عين شعره، فليس الأمر مجرد حب عادى يذكره فى شعره بل صار هو كل اهتمام شعره، وفى دنيا الشعر والشاعر حينما تظلم الدنيا تصبح الأوطان هى الملاذ الآمن، والحضن الدافئ.

وقد يلاحظ على الصور التى استخدمها البردونى فى ثنائية الشعر والشاعر التهويل والمبالغة فى رسمها، حيث أنسنة الشعر وتجسيمه وتشخيصه، ولكى

---

(١)الأعمال الكاملة: ١٤٣/١.

(٢)الأعمال الكاملة: ٦٦٢/١.

(٣)الأعمال الكاملة: ١ / ٧٥.

يخفف من حدة هذه المبالغة نراه – دائما– ما يستعمل لفظة (يكاد)، ومن ذلك على سبيل المثال قوله: (من البسيط)

هـــذا القصـــيد أغانيهـــا ودمعتهـــا وســـحرها وصـــباها الأغيـــد النضـــر

يكـــاد مـــن طـــول مـــا غـــنى خمائلهـــا يفـوح مـن كـل حـرف جوهـا العطـر[1]

(١)الأعمال الكاملة: ٥٧/١.

الموسيقى:

إن من أهم العناصر التى يتميز به الشعر العربى عنصر الموسيقى، إذ هناك " علاقة عضوية تجعل من النص الشعرى صورة فنية متماسكة فهي لب الشعر وعماده الذى لا تقوم له قائمة بدونه " (١).

فلا يمكن لأحد أن يتصور " الشعر بدون موسيقى يتجلى فيها جوهره، وجوه الزاخر بالنغم، موسيقى تؤثر فى أعصاب السامعين ومشاعرهم بقواها الخفية الساحرة، قوى تنشر موجات من الانفعال يحسون بتناغمهم معها "(٢).

وبالتأمل فى القصائد التى تغنى فيها البردوني بثنائية الشعر والشاعر نجده قد نظمها على البحور الطويلة الكثيرة الحركات؛ لأن الموضوعات التى أثارها فى هذه القصائد تتعلق بالذات تقتضى البوح عما يجيش فى النفس، ومن ثم تحتاج إلى البحور الطويلة ذوات التفاعيل المنبسطة أو الممتدة التى لا تلبث أن تهدأ حتى تعاودها الثورة من جديد وهى على الترتيب بعد الحصر (الكامل – الخفيف– المديد – البسيط – المتقارب – الطويل – السريع – الرمل – المتدارك – الهزج – المنسرح).

وكان لبحر الكامل الصدارة فى القصائد التى نظمها فى تلك الثنائية موضع البحث وتفعيلاته (متفاعلن – متفاعلن– متفاعلن)، وقد بلغ عددها

---

(١)فصول فى الشعر ونقده – د/ شوقى ضيف – دار المعارف مصر – عام ١٩٧١م: صـ٢٩.

(٢)عناصر الإبداع الفني فى شعر الأعشى– د/ عباس عجلان – دار المعارف مصر – عام ١٩٨١م: ٢٩٩ وما بعدها.

أربع عشرة قصيدة وهى: (طائر الربيع – عودة القائد – فى الليل – شعرى– فجر النبوة – ميلاد الربيع – هموم شاعر– الربيع والشاعر– فجران– قصة من الماضى – زحف العروبة – يوم العلم – لص فى منزل شاعر – القصيدة والوطن).

ثم يأتى بعد ذلك فى المرتبة الثانية بحر الخفيف وتفعيلاته (فاعلاتن – مستفع لن – فاعلاتن)، وبلغ القصائد ثنتا عشرة قصيدة وهى: (الشاعر– روح شاعر – محنة الفن – من هواها – راهب الفن – منها وإليها– مع الحياة– أنا الغريب – أين منى – رحلة النجوم – شاعر الكأس والرشيد – شاعر ووطنه فى الغربة).

ثم كان بحر المديد فى الترتيب الثالث حيث قد نظم على أوتار موسيقاه ست قصائد وهى: (يقظة الصحراء – نار وقلب – أم الكرم – من أغنى – لا تسل عنى – وحدة الشاعر).

واحتل البسيط المركز الرابع وتفعيلاته: (مستفعلن – فاعلن – مستفعلن – فاعلن)وعدد القصائد التى نظمت عليه خمس وهى: (من أرض بلقيس – أنا والشعر – تحت الليل– بشرى النبوة – أبو تمام وعروبة اليوم).

ثم كان بحر المتقارب الذى نظم فيه أربع قصائد وهى (نجوى – عذاب ولحن – بعض الضياع – لعينيك يا موطنى).

أما بحر الطويل والسريع والرمل فكان نصيب كل منهم ثلاث قصائد، والمتدارك قصيدتين، والهزج والمنسرح لكل منهما قصيدة واحدة.

وفى نهاية المطاف نستطيع أن نقول أن البردوني كان موفقا فى اختيار أوزانه التى ناسبت فى الغالب المعانى التى طرقها من خلال التغني

بثنائية الشعر والشاعر، وهو أمر طبعى لشاعر عربى أصيل مثل البردونى وقد طالعت الديوان كاملا عدت مرات، وأراه لم يخرج عن الأوزان الخليلية التقليدية.

وأما القافية فمن خلال ما قد تم عرضه من نماذج وردت فيما سبق، يتبين لنا أن الأحرف التى اختارها البردونى رويا لقوافيه التى نظمها فى ثنائية الشعر والشاعر، (الراء) وهى أكثر القوافى ورودا حيث قد ورد إحدى عشرة مرة، و(النون) وتكررت تسع مرات، و(الميم) وكررها ثمان مرات، وأما الباء والدال فقد تكرر كل منهما خمس مرات، و(التاء المربوطة) مرتين، و(الحاء، والفاء، والقاف، والواو) وردت كل منها واحدة منهم مرة واحدة، وهذه القوافى تتميز بعلو نبرتها، وفخامتها وقوة جرسها، وهذا يعكس مدى عناية البردونى بقوافيه، والاختيار الموفق والمناسب للموضوعات التى ينظم فيها، حيث جاءت كل القوافى مناسبة للموضوعات التى تغنى بها فى ثنائية الشعر والشاعر، ولا يوجد بينهما قافية شاذة، اللهم إلا قافية (القاف) فقد جانبه التوفيق حينما استخدمها فى إحدى ثنائيته مرة واحدة، وقد عاب بعض النقاد استعمالها وعدها من القوافى النافرة [١].

(١)أصول النقد– د/ أحمد الشايب – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة– الطبعة الثامنة– عام ١٩٧٣م: ٣٢٥ وما بعدها.

خاتمة البحث

بعد أن وفقني الله- ﷻ- لإتمام هذا البحث الذي تناول التغنى بثناية الشعر والشاعر فى أعمال البردونى دراسة نقدية، فإنني أجمل بعض النتائج التي أسفر عنها البحث فيما يلي:

لقد انفتح البردونى على عوالم شعرية كثيرة أطل منها على الجوانب الإنسانية؛ فشعره يحتوى على قيم فنية وشعرية عالية من شأنها إبراز الجانب الإنساني.

لا يتوقف التأثير النفسى والبعد الإنسانى فى التجارب الأدبية على المضامين وحدها دون الألفاظ والأساليب، فالألفاظ والتراكيب لها مفعول السحر والتأثير فى النفس حينما يوظفها الشاعر، ومن هنا رأينا البردونى كيف يحاور الشعر ويجعل منه كائنا حيا يتحدث معه ويبثه آلامه وشكواه، ويدافع به عن وطنه.

حينما يكون الواقع مريرا فإن الشاعر يتخذ من وجع الشعر وآهات الشاعر رمزا لمعاناة المثقف، حيث يرى نفسه غريبا فى أرض غريبة، وإن كان بين أهله وخلانه.

لقد كان الهدف من أنسنة الشعر – تشخيصه وتجسيمه – ليس من قبيل التسلية والمتعة ولكن بقصد توصيل المعنى بصورة جيدة، وصوره التى تلمسناها من خلال ثنائية الشعر والشاعر كلها جديدة ومبتكرة.

شعر البردونى يشع منه الجلال والجمال حيث ترسم خطا الأقدمين وبدأ كلاسيكيا محافظا، ثم تأثر بالرومانتيكية، حيث بدا لنا من خلال التغنى

بثنائية الشعر والشاعر هذا الصوت الحزين الجريح الذى وجد فيه أنسه ونجواه.

لقد أراد البردونى أن يظهر من خلال تغنيه بثنائية الشعر والشاعر إثبات الذات والاعتداد بالنفس، وكلما أراد أن يكتم أمره ويظهر التجلد والتصبر كشف عن ذلك شعره، كما أراد أن يثبت التفرد فى الموهبة، وأن جل شعره حبس صدره؛ حيث أراد أن يقدم للناس فناً هادفاً يستحق الخلود، ومن ثم يضمن لنفسه المجد والعيش فى قلوب الناس حتى بعد الرحيل.

هذا وبالله التوفيق ومنه وحده العون والسداد، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

دكتور / حامد سعد على خضرجى جاويش

أستاذ الأدب والنقد المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق

المصادر والمراجع

(١) أسس النقد الأدبي عند العرب، د/ أحمد أحمد بدوى – دار نهضة مصر – القاهرة الطبعة: ١٧٧.

(٢) أصول النقد– د/ أحمد الشايب – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة- الطبعة الثامنة-عام ١٩٧٣م

(٣) إنسانية القصيدة قراءات فى أوجاع الشاعر العربى – د/ عادل نيل – الهيئة المصرية العامة للكتاب عام٢٠١٩ م

(٤) الحب العذري عند العرب د/ شوقى ضيف – الدار المصرية اللبنانية عام ١٩٩٩م: ١٥

(٥) دموع الشعراء على الراحل باكثير بحث مستل من مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق للدكتور مصطفى مطاوع –العدد الخامس عشر–الجزء السابع عام ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

(٦) ديوان البردوني – الأعمال الكاملة – المجلد الأول –مكتبة الإرشاد اليمن صنعاء ط٤ - ٢٠٠٩م.

(٧) الشعر فى حياتنا: فتنة الشعر وغوايته المتجددة، عبد العزيز المقالح، مجلة غيمان، العدد الثانى، فبراير، عام ٢٠٠٧م

(٨) الصورة الفنية فى التراث النقدي والبلاغي – د / جابر عصفور، طبعة دار المعارف

(٩) العمدة فى محاسن الشعر وآدابه – لابن رشيق القيرواني – ت/ محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل – الطبعة الخامسة عام: ١٩٨١م: ١/ ٨١.

(١٠) عناصر الإبداع الفني فى شعر الأعشى– د/ عباس عجلان – دار المعارف مصر – عام ١٩٨١م.

(١١) فصول فى الشعر ونقده – د/ شوقى ضيف – دار المعارف مصر – عام ١٩٧١م.

(١٢) لغة الشعر العربى الحديث –، د/ السعيد الورقى، الهيئة للعامة للكتاب، عام ١٩٧٩م

(١٣) المعجم الأدبى، جبور عبد النور – دار العلم للملايين – بيروت ط١ – عام ١٩٧٩م

(١٤) معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربى- تألف: د/ أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م

(١٥) ملامح يونانية فى الأدب العربى، د. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، ط١، ١٩٧٧ م

(١٦) موسوعة النظرات الأدبية، د. نبيل راغب، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣ م:

(١٧) النقد الشعرى منظورات مقاصده د/ رجاء عيد، منشأة المعارف بالإسكندرية عام ١٩٩٥م

فهرس الموضوعات

الموضوع
تمهيد
ثنائية التغني بأوجاع الوطن وبناء الأمجاد:
التغنى بثنائية الروح والجسد :
التغنى بثنائية الانكسار والكبرياء:
التغنى بثنائية الذات والموهبة:
التغني بثنائية المديح والمدح :
التغني بثنائية الرثاء والتعزية:
الخصائص الفنية للتغني بثنائية الشعر والشاعر فى أعمال البردوني الشعرية
المعجم الشعرى:
أهم الظواهر الأسلوبية:
خطابه لشعره.
سيميائية العناوين:
الصورة الشعرية:
الموسيقى
خاتمة البحث
المصادر والمراجع
فهرس الموضوعات